رباعيات

سيدي عبد الرحمن المجذوب

تعليق وتحقيق

ميلود الشريف



رباعيات

سيدي عبد الرحمن المجذوب

تعليق وتحقيق

ميلود الشريف



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

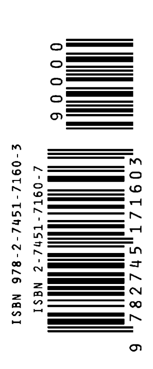
Title	**RUBĀʿIYYAT**	رباعيّات	الكتاب
	SĪDĪ ʿABDUL-RAḤMĀN AL-MAJḎŪB	سيدي عبد الرحمن المجذوب	

Classification:	Poetry and Sufism	: شعر وتصوف	التصنيف
Editor	: Milūd al-Šarīf	: ميلود الشريف	المحقق
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	: دار الكتب العلميـــة - بيروت	الناشر
Pages	: 96	96 :	عدد الصفحات
Size	: 17*24	17*24 :	قياس الصفحات
Year	: 2011	2011 :	سنة الطباعة
Printed in	: Lebanon	: لبنـــان	بلد الطباعة
Edition	: 1st	: الأولى	الطبعة



Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠


ISBN 978-2-7451-7160-3
ISBN 2-7451-7160-7



توطئـة

ليس منا من لم يقرأ هذا الكتيب الصغير، والذي لا يضم بين طياته إلا صفحات معدودة... فبالرغم من ضآلة حجمه؛ إلا أنه ذو دلالة عميقة وفائدة عظمى لن تجد نظائرها ولو قرأت آلاف المجلدات... هو إن شئت بمثابة ذخيرة، وهاته الذخيرة هي أغلى من الذهب وأبقى من المال وأنفس من الكنز... وكما هو معلوم قد تفنى هاته الأشياء الآنفة الذكر، وتندثر مع مرور الوقت وتزامن الأحقاب... هذا الكتيب هو عبارة عن " أرجوزة "[1] ضمت 236 بيتا شعريا، وجاءت هاته الأبيات على شكل أمثال وحكم ونصائح وعظات استخلصت من واقع معين لمجتمع خاص في فترة محددة... ربما، وهذا حسب الدراسة التي قمت بها خلال الأعوام الماضية... لم تكن بالأمر السهل؛ أو البساطة من المكان... بحيث عانيت الأمرين: **البحث عن الحقيقة** ومدى قابليتها مع **اختلاف الظروف وتقلبات الزمن**، وكذا موافقة هذه الحقيقة لما يتطلبه الوقت الراهن من تغييرات وتحولات جذرية، هي بطبيعة الحال رهينة أو لصيقة بمنظور الحال الذي يمتثل طواعية للمقولة السائدة " **كل شيء قابل للتغيير**

إعجابي بشخصية صاحب الكتيب جعلتني بدوري أقوم بهذا البحث المتواضع لكي أمد القارئ ببعض ما فهمته واستنبطته... وإني لأجد نفسي عاجزا

---

(1) أرجوزة: هي عبارة عن قصيدة منظومة ذات نظام عجيب تميل في طريقة ترتيبها إلى الشعر المقفى لكنها لا تلتزم بقواعده..

عن تعداد فضائل هذا الرجل الذي عانى الكثير في حياته إن لم أقل - تعذب - من أجل أن ينفع بتجاربه شباب هذه الأمة الباحث عن الحقيقة في كومة قش مشحونة بفتيل التيه والضلال؛ اللاهث وراء نيل المطالب الدنيوية الزائلة؛ الطامح الطامع وراء إنشاء جسور من الوهم والسراب... همه الوحيد هو كسب المال بلا جهد أو نصب.. وأمله الوحيد هو الوصول للشيء بدون مقابل أو بذل أدنى التضحيات، ولكيلا أسهب في الكلام.. فلقد جاء هذا الكتيب بمثابة موضوع بالغ الأهمية بمكان نظرا لما يتميز به من إيحاءات حقيقية؛ " موضوع الساعة " يعطي للجيل الجديد الطريقة المثلى، والمسلك الصحيح لتتبع هاته الحياة بالشكل الذي ترتضيه موافقاتهم، ويستجيب لميولاتهم... موضوع قدم لنا في وقت يحتاج شبابنا إلى استنباط القوة والعبر والعظة من خلال تجارب الآخرين.. موضوع مشحون بالإرادة الخيرة والنصح الكبير، وذلك من أجل استنهاض الهمم وشحذ العزائم وإثبات الذوات ورد الاعتبار.. ذلكم إذا هو: **سيدي عبد الرحمان المجذوب** "[1] أو عبد الرحمان المجدوب مول الكلام الرزين والموزون (**دفين مكناس جوار ضريح السلطان المولى إسماعيل**).

والله أسأل أن يلهمنا الصواب ويوفقنا لما فيه الخير إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

---

(1) سيدي عبد الرحمان المجذوب: زجال الحكمة وشيخ الزجالين العرب، وأحد أولياء الله الصالحين أشتهر بديوانه المعروف. عاش خلال القرن السادس عشر، وهو مدرسة زجلية حديثة بامتياز..

الباب الأول:
مدخل إلى سيرة سيدي عبد الرحمان المجذوب

حين يقع الواحد منا في شدة؛ أو يحتدم به الأمر وتعوزه الحكمة أو تلجئه الحال؛ تراه يلوذ تلقائيا إلى مأثورات سيدي أو مولاي المجذوب.. لا يختلف في ذلك رجل أو امرأة؛ مثقف أو أمي.. بحيث يصح القول بأننا أمام " **ظاهرة سيدي عبد الرحمان المجذوب** " تستحق التعرف عليها.

والمجذوب هذه الصفة بالذات؛ قد نجدها في بعض الكتب مكتوبة بالدال المعجم هكذا " **المجذوب** " وهو الشخص الذي أصابه مس أو خبل، وقد نجد هذه الصفة أيضا قد انتحلت في شخص " **المهبول** والأمر عندنا سيان... بينما نجد اللفظة الثانية التي هي " **المجدوب** " بالدال المهمل؛ لا تتخذ في مسارها المعنى الأول الذي تطرقنا إليه... فالجذبة هي حالة ربانية روحانية يهبها الله لمن يشاء من عباده، ومنهم من يفسرها على أنها تأتي من معنى **الانجذاب إلى الحضرة الإلهية وهي أعلى الدرجات والمقامات التي يتمنى الصوفية إدراكها.......**

بطبيعة الحال هؤلاء العباد قد اصطفاهم وجعلهم يرتقون إلى مرتبة معينة، ودرجة عالية من العبادة والتقرب إليه بصالح الأعمال وأحكم الأقوال؛ قد نجدهم في أبهى صور التقدير والتبجيل؛ ارتدوا أحقر الثياب، وعزفوا عن الملذات، ولم تشغلهم الأهواء ولا المناصب، ولا العلو والاستعلاء عن الخلق؛ بل اتخذوا حياة التقشف والزهد شعارا لهم، ولبسوا رداء التقوى والصلاح؛ مذعنين منصاعين للحق؛ آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر؛ لا يخافون في الله لومة لائم...

وسيدي عبد الرحمان المجذوب كان واحدا من هؤلاء الذين خصهم الله بهاته الخصال الرفيعة؛ حتى أضحى قطب زمانه وسيد عصره وولي أمره؛ له من

الكرامات مالا يحصى ولا يعد... ومن الخوارق ما لا يحدها زمان ولا يحصرها مكان؛ لا يستقر على حال واحدة؛ كثير التنقل؛ لا تحده حدود؛ ولا يمنعه حائل ولا سدود؛ إذا دلف إلى قرية أو إلى مدشر صاح " **الله** " **الله** فيلتف الناس حوله ويحيطون به بعد ماأخذت منه الجذبة كل مأخذ فينصحهم ويعظهم بما شاهده وعاينه خلال جولاته السابقة من أحداث غريبة وأخبار عجيبة، وكأنها في نظرهم حكايات مستملحة وقصص طريفة؛ فلا يستطيعون إلى الفهم سبيلا؛ بل الأنكى يسخرون منها تارة ويتعجبون تارة أخرى؛ فيصيح الشيخ المجذوب ويصرح باسم الجلالة من جديد " **الله** " **الله** حي " فيثني ظهره ثم يستقيم في حركة ارتجالية[1] تبعث الخوف والرهبة في نفوس السامعين... كدليل على أنه أتم كلامه واستوفى مراده... ثم بعد ذلك يمضي إلى حال سبيله.

لقد عاين الشيخ المجذوب مجتمعا بدويا؛ لا يفقه شيئا ولا يعير للأمور أي اهتمام... والحالة هاته تستوجب منا إعطاء فكرة ولو من باب الاعتقاد على أنه كان مجتمعا متقوقعا على ذاته بحيث كان يطبعه الانغلاق من جهة (**على أساس أنه باب مفتوح على مصراعيه**) ليستقبل الفتن والفوضى والتراكمات المخزنية التي كانت غالبة على الأوضاع المعيشية آنذاك؛ أو بمعنى آخر سيادة الحكم الطاغي وهيمنته على سائر القبائل والعشائر من أجل توطيده وإثباته بشكل نهائي... علاوة إلى عاملين أساسين: كانا لهما الأثر السلبي على تدهور الأحوال هناك.

- **عامل الفقر** الناتج أساسا من موروث الجهل المطبق.

- ثم **عامل المرض** وما صاحبه من أوبئة فتاكة (**كمرض الجذام والجذري مثلا**)[2]،والذي كان شائعا ومعروفا في العصور الأولى...

والمجذوب نفسه كان يعترف ويقر بأن عامل المرض كان يضرب بمتاريسه

---

(1) ارتجالية: هي القيام بحركة لا إرادية، ولكنها توافق الحدث وظروفه.

(2) مرض الجذام والجذري: من الأمراض الجلدية الخطيرة، وهي فتاكة ومعدية انتشرت بشكل مكثف خلال القرون الأولى، وأودت بحياة الكثير من الشعوب..

طول البلاد وعرضها، وبالتالي فهو يترجم معاناته في شكل - **فلسفة إلهامية**[1]- ضمنها أقاويل مأثورة وأعطاها ديباجة الحكم المستخلصة من واقع الحال ولسان المقال. ألم يقل في أحد أبياته الرباعية المحذوفة:

" يا لغرب يالغرب ياللي غريبتو غريبة

يا للي ما كلتو غير السم والصاحب ما كين تم

ألا ينذر هذا التنبؤ بحدوث خطر داهم وبأن هولا ما سيضرب البلاد ويحطم أركانها ويزعزع استقرارها... وبأن الأحوال ستتغير لا محالة فيحدث ما لم يكن في الحسبان؟

ألم يكشف حقيقة ذلك المجتمع البدوي اللاهي عن أمور دينه؛ الخاضع لسلطان الهوى والمجون[2] ومعاقرة النساء؟ ألا توجد هناك أسباب أخرى غير هاته؟

ألم يقل ذلك الشيخ المجذوب ويؤكده في أحد أبياته المحذوفة والتي قال فيها: " **هذا راه القرن ربعتاش لا هنا لا معاش كي مول التسبيح كي مول الشاش** " ويزكي هذا القول بيت آخر من أبياته الرباعية المحذوفة:

" كلام الناس يدير الوسواس ويقلب الذهب نحاس

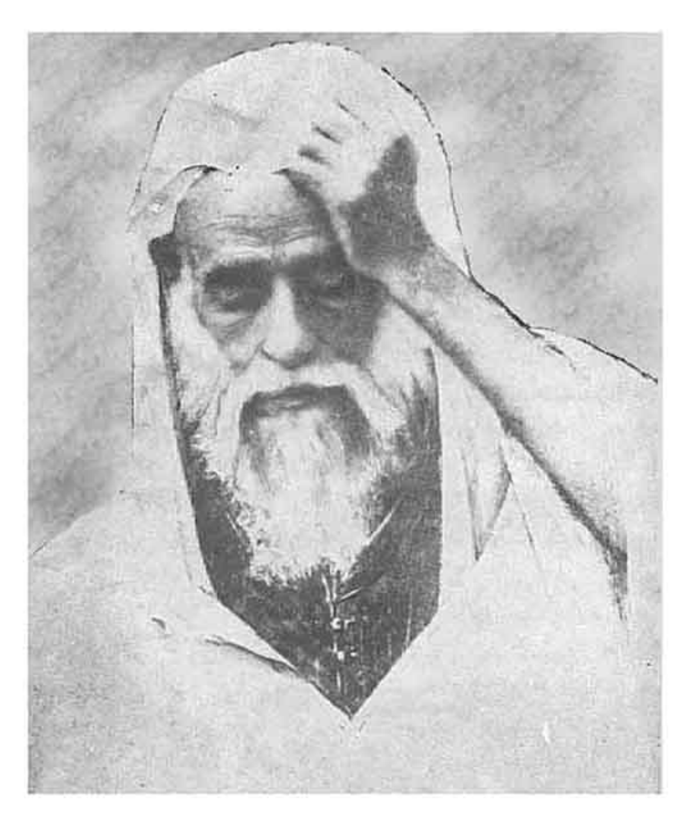
ما تديـــر خير ما يطـــرى باس

ومما تقدم يتضح لنا بجلاء بأننا أمام ظاهرة جديدة وإن كانت قديمة... أطلق عليها فيما بعد بظاهرة المجذوب " أو " المجذوبية "؛ والتي كشفت لنا حقائق عدة وأخبار عجيبة وحوادث مريبة لواقع مجتمع انقضى منذ خمسة قرون؛ فكأن المجذوب بعمله هذا قد أحيا هذا المجتمع البالي من جديد وزرع فيه الروح؛ روح الذاكرة الميتة والتي أيقظها من مراقد التيه والنسيان.

(1) الفلسفة الإلهامية: هي فلسفة تعتمد في مضامينها على الجوهر من الكلام المستخلص من ينابيع الحكمة والرؤية السليمة والفكر الثاقب.. وهي كما نقول استخراج الكلام من لبه ومعدنه لا من شكله وقشوره..

(2) المجون: هو اللعب بشكل مفرط ومبالغ فيه حتى يتجاوز الحدود.

الباب الثاني:
حياة سيدي عبد الرحمان المجذوب



قبل أن نتطرق إلى حياة سيدي عبد الرحمان المجذوب.. علينا أن نتذكر دائما هذه المقولة " **إذا أردت أن تنبش في الذاكرة الشعبية فعليك بكتب الماضي** فطفقت أبحث عن أي معلومات في الانترنت وبعض المراجع التي احتفظ بها، ولكني للأسف الشديد لم افلح في العثور على أي معلومة توثيقية تشبع جوعي هذا.

إذ لم يتسن لي العثور على نبذة ولو قصيرة تجسد حياة هذا الشيخ الذي

ذاع صيته في البر والبحار؛ اللهم ماجاء متشابها من حيث المعنى وكأن المعلومات التي أتتنا إما أنها منقولة أو متواترة؛ أو أخذت من مصادر **الرواية الشفوية...** إذا نحن الآن أمام قضية أخرى... تستند في غالبيتها على **الوجه المشهور غير المحقق** حتى ولو بحثنا جاهدين في كتب التاريخ والسير والمغازي[1] وكتب التصوف.

يبدو أن عمدة الأمر في هذه القضية، وكما أسلفنا هو **الرواية الشفوية، التي أغلقت جزءا كبيرا من تاريخ الأولياء في المغرب؛ فقد اعتمدت جل الكتابات التاريخية، قديمها وحديثها، في تدبيج تاريخ الأولياء، خصوصا مع ما أنيط بهم من كرامات على الرواية الشفوية، غير أن هذه الأخيرة، رغم أهميتها في ردم الهوة الكبيرة التي يشكو منها تاريخ الأولياء، ليس لها من سند توثيقي أو مادي، يعطيها قوة الحجة والمصداقية؛ فباستثناء التواتر المعروف في الرواية الشفوية، لا يمكن قبول حجة هذه الأخيرة أو الركون إلى حيثياتها، دون تمحصيها وتقليبها على كل الأوجه والهيئات، وإلا فما سنصل إليه من أحكام، لا يعدو أن يكون ضرب أسداس في أخماس**[2]، وبالتالي فالغوص من أجل البحث عن الشيء قد يؤدي بنا إلى متاهات يصعب الخلاص منها، وقد يرمي بنا بعيدا إلى مالا تحمد عقباه. ولنأخذ مثالا على ذلك:

تقول بعض الروايات الشفوية على أن الشيخ المجذوب قد أمضى في مدينة **مولاي علي بوغالب**[3] مدة طويلة زاول فيها الشيخ مهنة الجزارة ولازال دكانه مقفلا وشاهدا على ذلك... فأين وجه الدلالة هنا؟

---

(1) المغازي: كتب تعنى بتراجم الشعراء والكتاب وسير النبلاء من العلماء الأجلاء ومشاهير الأولياء والمفكرين، وصناع التاريخ وقادة الأمم وزعمائها وملوكها..

(2) جزء مقتبس من موقع الانترنيت.

(3) مولاي علي بوغالب: دفين القصر الكبير، هو الشيخ العلامة الإمام الفقيه المحدث الزاهد الورع العارف بالله تعالى، أحد الأوتاد، أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري القرشي الأندلسي، فقيه فاس وعالمها .توفى رضي الله تعالى عنه سنة 568هـ وضريحه يزار عبر التاريخ حتى الآن وزيارته فيها أثر وبركة .

على ماذا نعتمد؟ أين هي حجة الكلام لتدعيمه وتأكيده؟ لنضرب على ذلك مثالا آخر:

من هؤلاء الذين عاصروا الشيخ ومن الذي كتب عنه؟ من هم تلامذته ومريدوه؟ وهل كان له أتباع وأشياع؟؟

إن القول هنا وكما هو متفق عليه " **بدليله لا بقائله** " ولنفرض مثلا أنه كان للشيخ المجذوب تلاميذ ومريدين.. فأين هو وجه المصداقية هنا مع العلم التام بأن الشيخ لم يكن له مأوى يبيت به أو ملجأ يلوذ إليه؟؟؟ وهو القائل في إحدى رباعياته المدونة والمشهورة " **من الثلج عملت مطرح بالهوا غطيت روحي**

من القمر عملت مصباح وبالنجوم ونست روحي " وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وحدانية الشيخ وعزلته التامة عن سائر الخلق ما عدا الثلج والذي أتى هنا بمعنى الأرض بحيث اتخذها فراشا ترابيا وذكر الهواء باعتباره غطاء له وستراً، وذكر أيضا القمر على أنه ضوء يستضاء به في حلكة الليل الدامس وشبهه بالمصباح، وذكر النجوم على أساس أنها أصدقاء وفية؛ أو ربما تقوم مقام الأصدقاء الأرفع من نوعه، وخلاصة الكلام نجد أن الشيخ المجذوب **افترش الأرض والتحف بالسماء وتغطى بالهواء واستضاء بنور القمر وآنس النجوم** وفي هذا دلالة وكفاية على ولايته التامة وثبوت قطبيته[1] وصلاحية مسلكه.

" **إن مخالطة عموم الناس[2] تذهب بوقار القلب وتزيل الهيبة من الوجه وتعكر صفو السريرة كما أنها تذهب بالإيمان وتزيحه عن مذهبه** "، وأعتقد بأن هذه هي القاعدة التي اعتمد عليها الشيخ المجذوب في نهجه كطريقة منفردة ومميزة وسلوكه المسلك الصحيح في الولاية.

تصوره كتب التاريخ ومدونات التراجم على أنه كان كثيف اللحية طويل الشعر يضع في رقبته سبحة عريضة وهي عادة اتخذها الأولياء والعارفون بالله

(1) قطبيته: نقول قطب الشيءأي قمته أو أعلاه والمقصود هنا هو العارف الكبير وشيخ الأولياء.

(2) عموم الناس: هم عامة الناس والمقصود هنا الأراذل ومخالطة الفئة المنحطة منهم.

كعلامة تميزهم عن سائر العباد؛ يرتدي لباسا متواضعا إن لم أقل حقيرا.. هو عبارة عن رداء خفيف مرقع؛ أو جلباب صوف خشن، يحمل زاده والمتكون غالبا من كسرات خبز يابس وثمرات من البلح أو التمر المجفف عموما؛ ثم يلفه في ثوب خلق مربوط في إحدى جنبات عصا طويلة ثم يحمله فوق كتفه،،، وفي هذا كناية على أن الدنيا ماهي إلا **نعيم زائل وظل حائل** وكل شيء فيها حقير وممتهن؛ كما أنه لا يدوم عزها ولا يخلد فيها أحد.

هي دار عذاب وشقاء وابتلاء وجفاء، السعيد فيها هو من تفكر وتدبر أما الشقي فهو من غفل عنها ولم يتعظ ويعتبر.

الباب الثالث:
تفاصيل من حياة سيدي عبد الرحمان المجذوب



.... فعندما نتحدث عن سيدي عبد الرحمان المجذوب هذا الهرم الشامخ والطود العظيم؛ فإننا غالبا ما نتحدث عن " الذاكرة الشعبية "... والذاكرة الشعبية هي تاريخنا غير المزيف لكن الخوف كل الخوف أن يطال هاته الذاكرة التحريف أو المصادرة والنسيان بدليل أننا بتنا نعيش في زمن أضحت فيه كل التوقعات واردة؛ بل جاز القول أن كل الاحتمالات فيه ميسرة؛ هينة وفي متناول الجميع.

هذا الزمن، والتي أضحت فيه كثرة المغالطات حقيقة، وكثرة التأويلات منطقا صائبا، وغياب البراهين والحجج الدامغة شاهدا على هذا العصر... فالرجل وكما جاء في الروايات كان متبحرا في علوم الحقيقة، عالما بأصول الدين، عارفا بقواعد الشريعة، قائما بأصول السنة، لايثنيه عجز ولا وهن في تحصيلها والقيام بها على الوجه المطلوب، مدققا في أحوال الخلق وأمورهم، ومستخلصا المواعظ والدروس من واقع حياة مريرة، وأوضاع مشينة في زمن لم تكن فيه مدارس ولا معاهد ولا كليات كما هو الشأن اليوم.

نسبه:

هو أبو زيد (أبو محمد) عبد الرحمن بن عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان الصنهاجي الأصل ثم الفرجي الدكالي ، ولقب المجذوب جعله له أهل زمانه، فكان صوفيا زاهدا، ومن هنا يتضح لنا بأنه لم يكن لديه نسب شريف لا من آل البيت ولا من نسله(1).

ولد سيدي عبد الرحمن المجدوب سنة 1503م الموافق للعام **909** الهجري، بطيط، وقد كانت، وقتها، مدينةً ذات شأن بين مدن الساحل المغربي، تتوسط **أزمور والجديدة**(2)؛ تفصلها عن الأولى 5 كيلومترات، وعن الثانية ب 10 كيلومترات.

فأما مدينة الجديدة فقد بناها البرتغاليون في مطلع القرن السادس عشر. وأما مدينة طيط، فإن الحسن الوزاني(3) ينسب بناءها إلى القوط(4)،الذين احتلوا [موريتانيا] الطنجية خلال الفترة الممتدة من 428م إلى 534م .ويفيدنا **هنري دي كاستري**(5) أن طيط مدينة ضاربة في القدم، قد أحاط بها سور شديد العلو .بيد أن المدينة كانت شبه خالية في العام 1596، بعد أن ذهب بساكنتها أحدُ أعنف وباءين جذاميين ابتُلي بهما المغرب (عصف الآخر بمراكش). ومن طيط كانت تتزوَّد منطقة دكالة قاطبة، ما يؤكد الأهمية التي كانت لهذه المدينة.

---

(1) مقتبس من موقع الانترنيت لحياة سيدي عبد الرحمان المجذوب.

(2) أزمور والجديدة: مدينتان مغربيتان مجاورتان...

(3) الحسن الوزاني: هو الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني: زعيم سياسي، ومناضل فذ، وأحد رواد الحركة الوطنية بالمغرب، ومؤسس حزب الشورى والاستقلال.

(4) القوط: (GOTHS) قبائل جرمانية شرقية أرجح الآراء أنهم قدموا من اسكندنافيا إلى وسط جنوب شرق القارة الأوروبية. يقسم القوط غالباً إلى قوط شرقيين وقوط غربيين.

(5) هنري دي كاستري: هو الكونت هنري دي كاستري (1850 - 1927) مقدم في الجيش الفرنسي، قضى في الشمال الأفريقي ردحًا من الزمن. من آثاره: (مصادر غير منشورة عن تاريخ المغرب) (1950)، (الأشراف السعديون) (1921)، (رحلة هولندي إلى المغرب) (1926).

أما تسمية المدينة باسم تيط .واللفظ في الأصل بربري يقابله في اللغة العربية " **العين** وحسب المصادر الإسلامية فان المنطقة كانت تسمى بالبربرية " **تيط نفطر** " أي عين الفطر بينما تقول بعض الروايات الشفوية أن هذه التسمية جاءت بناء على كون سكان المنطقة كانوا يفطرون بالماء بعد الصيام قبل تناول الفطور[1].

وقعت أزمور بأيدي البرتغاليين في العام 1507. وأغلب الظن أن الحياة في تلك المدينة - طيط - الواقعة بين حصنين برتغاليين قريبين جداً إليها، قد باتت، يومها، صعبة عسيرة على أهلها. وفي ذلك تفسيرٌ لرحيل أسرة المجذوب، وهو في سن الرابعة، عنها، للاستقرار في مكناس، فقد كانت أقل تعرضاً للتدخلات البرتغالية مما هي المدن الساحلية ويقول بشأن هذا الحدث:

جيـتْ من طيطْ بالعجْلة

والـشر زادنـي شْطاية

الخبـز دخـلُه الجـصْ[2]

علاش يا طالب ذا القراية

وعليه، فقد درس صاحبنا في مكناس، حسبما كان معتاداً للمحظوظين من الأولاد. والمجذوب يعدُّ نفسه من الشرفاء. وهو أمر لا نجد ما يفنده أو يثبته في الأنساب المعروفة. وربما كان له نسبٌ إلى الشرفاء التونسيين؛ يقول في هذا الصدد:

أصلي مـن تونـس الخضـرة

وللي عنـده نسـب يـدوّر علـيه

أنـا ولـد فـاطـمة الـزهرة والكـاذب لعـنـة الله عليه

بيد أنه جاء بصفة الطالب اللاجئ، لمتابعة دروس اللغة الفصحى والشرع والأدب والتاريخ، في كبريات مدارس مكناس أولاً، ثم بعدها في فاس. وقد ظل

---

(1) مقتبس من موقع الانترنيت للتعريف بطيط.

(2) الخبز داخله الجص: يعني فسد ولم يعد صالحا للأكل، (وذلك عند بقائه لمدة طويلة فإنه يتغير طعمه ويفسد).

يحتفظ بذكرى رائعة لهذه المدينة العاصمة، التي ضمت، يومها، 89,236 بيتاً و758 مسجداً، كانت بها مركزاً يعتمل نشاطاً دينياً، بقدر نشاطها التجاري والحرفي يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

الطبخ والرَّمخ في فاس والعلم

والدين فيها

لاعيبْ يتقال في فاس

مكمولة في كل جيها

لكن ماذا كان يهم الطالب الشاب من المصاعب المادية؟ ألم يكن عطف المؤمنين يفتح الأبواب على مصراعيها في وجوه الطلبة الجدد، يأتونها في جلابيبهم البيضاء ملتمسين، باسم الله، عون المحسنين؟ فكانت أكياسهم تمتلئ شعيراً، وقمحاً، وفاكهة، مما يقتاتون عليه. فكانوا يجدون في هذا الكرم محرراً لهم من كل هم معيشي، ليتفرغوا بعده للصلاة والدرس. وقد خص المجذوب هؤلاء الأتقياء الكرماء بمديح جميل قال فيه:

اللّيِ يحب الطلبة نحبُّوه

ونعملوه فوق الراس عْمامة

والّلِي يكره الطلبة نكرهوه حتى

إلى يوم القيامة[1]

ويذكر الشيخ محمد بن عزوز حكيم[2] (من معهد الدراسات الإفريقية بمدريد) أنه وقع على مخطوط عربي يعود إلى سنة 1896 من وضع سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[3]،في سيرة المجذوب، نقلاً عن تلميذه سيدي زيان

---

(1) مقتبس من موقع الانترنيت لحياة سيدي عبد الرحمان المجذوب.

(2) الشيخ محمد بن عزوز حكيم: مؤرخ مغربي معاصر ينحدر من مدينة تطوان.

(3) سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي: ربما هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي لم أعثر له على ترجمة محددة... عالم من علماء المغرب الكبار.

التلغي (ت 1639). وقد حفظ لنا هذا المخطوط أسماء بعض أساتذة المجذوب، نذكر منهم أبا الحسن علي بن أحمد الصنهاجي الفاسي (ت 1540)، وأبا حفص عمر بن عبد العزيز الخطيب الزرهوني (ت 1530)، وأحمد بن عبد الواحد الربيع (ت 1536)، وسيدي يحيى بن علال الخلطي (ت1538) وسيدي بن أبي بكر المسترعي (ت 1556)، وسيدي محمد بن عيسى الفهري (ت 1526)، وأحمد بن الحسين العبدلي السهلي (ت 1555)[1]،وآخرين.

كان يتولى التدريس في جوامع فاس ومكناس خيرةٌ من أساتذة فاس وزرهون[2].وقد تخرج على أيديهم، طوال قرون، أساتذة لامعون في أمور اللغة والشرع، قد تميزوا بالطابع المغربي، المجانف للطريقة الأندلسية الممعنة في التجريد، والمبتعد عن النزعة الذهنية الغالبة على الطريقة المشرقية، والمتحرر من النظم التقليدي، والمترخص في المحسنات البلاغية، المخاطب للجمهور في الساحات العمومية بلغة بسيطة ومباشرة.

ولا يبعد أن يكون في هذه الفترة الدراسية أخذ صاحبنا في تعلم فن النظم. وسرعان ما صارت رباعياته تجد سبيلها إلى الأسماع:

كسبْتْ في الدهر معزّة

وجبتْ كلام رباعي

ابن آدم ما أعطاه ربّي ويقول

اعْطاني ذراعي

حقاً إن المجذوب قد بذل مجهوداً دراسياً عظيماً، حتى صار يجيد نظم هذه

---

(1) سيدي زيان التلغي وأبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي وأبو حفص عمر بن عبد العزيز الخطيب الزرهوني وأحمد بن عبد الواحد الربيع وسيدي يحيى بن علال الخلطي وسيدي بن أبي بكر المسترعي وسيدي محمد بن عيسى الفهري وأحمد بن الحسين العبدلي السهلي هم أساتذة كبار وفقهاء أجلاء كانوا يدرسون علوم الشريعة واللغة والفقه في جامعة القرويين خلال القرن السادس عشر...

(2) فاس ومكناس وزرهون: من المدن الأصيلة العتيقة المعمرة بالمغرب.

الأشعار، التي كل موسيقاها من بركة الله ومن مكابدات الحياة!

فهل يصح أن نقول إن رحلة المجذوب إلى مكة قد كانت في نهاية هذه الفترة الدراسية؟ الثابت أن الشاعر قد صار كفيفاً في أواخر أيامه. غير أن العمى قد لحقه بالتدريج، من الحُثار (**التراخوما**)[1] التي يُحتمَل أن تكون، وقتذاك، متفشية في منطقة شمال إفريقيا. ومن البعيد عن الاحتمال أن يكون الشاعر أدى فريضة " الحج بعد أن أَضحى ضريراً، لأن الحاج في ذلك الزمان كان يقطع تلك المسافة الموصلة إلى مكة، والبالغة سبعة آلاف كلم، كلها أو بعضها، سيراً على الأقدام. وقد اعترف المجذوب نفسه أنه كان يعاني الكثير من الإجهاد!

---

(1) التراخوما: مرض معد ينتقل من شخص لآخر عن طريق الملامسة الشخصية واستخدام الأشياء الخاصة كما ينتقل عن طريق الحشرات، وهو من أكثر الأمراض المزمنة في العيون ومن مسببات العمى، وتُعتبر التراخوما من الأمراض المستوطنة في المناطق الجافة والحارة خاصة المكتظة بالسكان. يطلق على هذا المرض باللغة العربية: مرض الحثر أو الحثار.

الباب الرابع:
معاناة سيدي عبد الرحمان المجذوب
مع الواقع المعيشي

تحدثنا في السابق على أن الشيخ المجذوب كان يعاني الكثير من الإجهاد ! بحيث يشهد على هذا بنفسه فيقول:

حجيت سبع حجات وتبت سبع توبات
رجيت نفسي تبقى لغيرها لا بات (**وفي رواية أخرى: لا باتت**)

لكن على الأرجح أنه كان كثير الترحال إلى بيت الله الحرام ويمشي بالخطوة، حتى كان يقف في كل سنة بعرفات، هنا بالذات سنفتح قوسين للاستفسار عن هذا الكلام وتوضيحه إن أمكننا ذلك.. فإذا كان يمشي بالخطوة لكي يقف في كل سنة بجبل عرفات فهذا يعني أن الله كان يطوي الأرض تحت قدميه تيسرا وبركة منه في تقريب المسافات وتذليل الصعوبات لهذا الولي الصالح لتكون حجة دامغة وبرهانا قاطعا لإحدى كراماته. وإما لأن الرجل كان ينوي القيام بهذه الرحلات الحجية المباركة هروبا من الفتن والفوضى التي شهدتها البلاد، خصوصا أنه عاين إن لم أقل عايش الأحداث الصاخبة التي أدت إلى سقوط وانهيار الدولة الوطاسية وما شهدته من تخلخل واضطرابات في تثبيت الحكم... كما أنه عاش ردحا من الزمان في عهد الدولة السعدية؛ فما لبث أن توفي في عام ستة وسبعين وتسعمائة (976 هـ) الموافق لـ **1568** م، أي بعد مضي عشر سنوات من وفاته سيشهد المغرب حدوث أكبر معركة في تاريخه ألا وهي معركة وادي المخازن أو معركة "**الملوك الثلاثة** "[1] كما هو معروف.

---

(1) معركة وادي المخازن: أو معركة الملوك الثلاثة هي معركة قامت بين المغرب والبرتغال =

يقول بعض المؤرخين: " وددنا لو أن الله أطال في عمر هذا الشيخ ليصف لنا أحداث وأجواء هذه المعركة والتي سيعرف المغرب بفضلها منعطفات واتجاهات أخرى فكرية وروحية وتطورية ستبقى شاهدة على تقدمه وتضحياته عبر العصور.

والمجذوب كان يقر ويعترف بهذا بحيث يقول في الشطر الثاني:

رجـــــيت نفـــــسي تبقـــــى لغيـــــــــرها لا باتـــــــــت

فهو يشهد على نفسه بأنه كان كثير المعاناة وبأنه لن يعمر طويلا في هذه الدنيا، وبأن الأجل محدود والعمر معدود؛ يقول في أحد أبياته الرباعية:

مـــــثلت روحـــــي لتبـــــيب فـــــي كـــــل شـــــجرة يـــــنادي
يعـــــيط يـــــا قلـــــة الحبـــــيب يـــــا خروجـــــي مـــــن بـــــلادي

فهو يشبه نفسه هاهنا بطائر الهدهد، والذي لايرى إلا نادرا فوق أغصان الأشجار السامقة لكيلايرمقه أحد أو يكتشف أمره، وبأنه لا يستقر به مقام ولا يلجأ إلى ركن معين، وفي هذا حسرة وندامة على قلة المعين وشكوى صادحة من قلب مكلوم[1] وروح حزينة، وما أصعب هذا الإحساس ولزومه على ذوي الألباب وأصحاب العقول الراجحة.

إذا ومما تقدم يتضح لنا بأن الشيخ المجذوب تعرض لكثير من المحن والابتلاءات في حياته بحيث إذا أحصيناها وجدناها تتمثل على الخصوص في ابتلاءاته البدنية (كإصابته بمرض العمى والصمم عند أواخر أيام حياته مع الإجهاد التام واكتفائه بالركوب على بغل نكاس)[2]... هذا من جهة؛ أما من جهة ثانية فهناك ابتلاءات نفسية داخلية باطنية وهي أعمق وأشد على فكر الإنسان وكينونته في

=

في 4 غشت 1578م، انتصر فيها المغرب انتصارا باهرا، وبفضلها عاد للمغرب مجده واعتباره ومكانته ضمن باقي الدول القوية.

(1) قلب مكلوم: هو القلب المجروح بكثرة المعاناة وشدة الآلام والأحزان.

(2) بغل نكاس: هو البغل الهرم المتباطئ في حركته، والذي يوشك على الهلاك.

ممارسة حياته بالشكل الطبيعي... ولقد ذكرنا من بينها عامل الاغتراب وخروجه من بلده في كل لحظة وحين... ثم عامل الفتن والاضطرابات والفوضى في الحكم السائد آنذاك وهيمنة الاستعمار البرتغالي في التحكم على مجريات الأمور وتفشي الأمراض المعدية بشكل مخيف... ثم عامل " **التشرذم** وهو عدم الاستقرار في الشيء والتثبت عليه... وبمعنى آخر إخفاء الحقائق وتمويهها وتضليل العباد في ردهات الزيف والضلال.... قال سيدي عبد الرحمان المجذوب حكاية عن ذلك:

عمـــــــيت وصـــــــميت وخفـــــيت بعــــــد الــــــرزانة
واش كانـــــــون عامــــــين نــــستنى فـــــيه الـــــسخانة
قلبـي جـا بـين المعلـم والزبـرة[1] والحـداد مـشئوم مـا يـشفق علـيه
يـردف لـه الـضربة علـى الـضربة واذا بــــرد يـــزيد الـــنار علـــيه
مــا يــرقد فـــي اللـيل مهمـــوم اللـــي يحمـــل الـــذل مانـــع
مـــا يغـــسل العـــرض صـــابون مـــا يقلـــب القلـــب صـــانع
اللفــــــت ولات شـــــــحمة وتـــــباع بالـــــسوم[2] الغالـــــي
فـــي القلـــوب مـــا بقــــات رحمــة شــوف حالــي يــا العالــي
الــــريح والــــسحاب رشــــات والغــــيم ظــــلام علـــــي
جـــيت نقـــول كـــلام الحـــق واللـــــوم ولـــــلا علـــــي

(وفي رواية أخرى: الحباب كاع، كاع كفات بقيت فريد، العمد علي)

وهذا غيض من فيض صاغه الشيخ المجذوب رواية وحكاية وشهادة وحجة على أهل زمان القرن السادس عشر؛ حتى أتت في هذا الشكل من الأبيات الرباعية؛ والتي أخذت منحى الشعر الجزلي[3] والمتركز أساسا على الدقة في

(1) الزبرة: هي القطعة الكبيرة من الحديد وبها تدق الأشياء الصلبة من أجل تقويمها أو تعديلها وتعتبر كقاعدة حديدية.

(2) السوم: هذه اللفظة هي دخيلة على اللغة العربية الفصحى وتقابلها في اللغة الفرنسية كلمة somme وهي الثمن أو المبلغ.

(3) الشعر الجزل: هو نوع من الشعر لا يعتمد لا على أوزان ولا على بحور، كلمته الصدق ويعتمد على الوصف الدقيق في كل شيء... وهو شعر غنائي من الدرجة الأولى، ويوظف =

الوصف مع ضبط الأمور وإعطائها منحة المصداقية والقوة مع الإثبات.

ومع هذا؛ فهل يصح لنا أن نقول بأن الشيخ عبد الرحمن المجذوب هو شيخ الزجالين العرب؟ أو بمعنى آخر زجال الحكمة كما هو معتاد؛ أو هو مدرسة زجلية حديثة بامتياز..... لا أدري؟؟؟

إننا هنا لسنا بصدد البحث عن التتويج أو إضفاء قيمة كبرى على هذه الرباعيات الجزلية؛ أو منح صاحبها الحظوة والمكانة العالية مادام الله سبحانه قد ميزه ووهبه أكبر من ذلك وأعلاه مرتبة بحيث صيره أحد أقطاب الصوفية والأولياء الصالحين، وأي مرتبة أعلى من هاته المنزلة؟ وأي تتويج أفضل وأعلى من هذا التتويج الرباني؟...



=

كثيرا في فن الملحون...

الباب الخامس:
معاناة سيدي عبد الرحمان المجذوب مع الحياة الزوجية



تاريخ المرأة عموما؛ تاريخ حافل بالأحداث والدروس والعبر، فهي أنيسة الرجل ومؤنسته في جميع أحواله والمشاركة له في المال والولد وبدونها لا تساوي الحياة شيئا... بل إنها الحياة نفسها؛ ألم تقرأ عنها في كتب المؤلفين والكتاب، وكيف امتدحها الشعراء في دواوينهم؛ بل أشاد بها الفلاسفة في مجلداتهم العظيمة حتى قالوا عنها بأنها " **نصف ما بين البشر والملاك** "، وبأنها هي " **أكبر مربية للرجل.. فهي تعلمه الفضائل الجميلة، وأدب السلوك، ورقة الشعور** "... وبأنها هي " **أحلى هدية قدمها الله سبحانه وتعالى إلى الإنسان** "؟ إلى غيرها من الأقاويل والحكم... ولكن الشيخ المجذوب كان يمتدحها تارة ويذمها تارة أخرى؛ بل كان يعدها **شرا لابد منه** في حياة الرجل على الخصوص.. حتى قال كلاما في حقها ربما هو يميل إلى الصواب أكثر؛ **فعن طريق المرأة جاء الشر إلى الدنيا**.... ولكن علينا أن

لا ننسى بأن المرأة على كل حال هي الأم، وهي الزوجة، وهي الأخت، وهي البنت، وهي العمة، وهي الخالة... هي صورة متركبة من هؤلاء جميعا لذا لا يمكننا الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، وبدونها لا تستمر الحياة... وهي سبب سعادة الأمة أو شقائها، وسبيل نهضتها ورقيها أو انحطاطها وتخلفها... **فإذا أردت الاستطلاع عن أحوال أي مجتمع ومدى تقدمه وتطوره فانظر إلى المرأة فيه، وقس على ذلك بقية الأمور** وأعتقد جازما بأن هذه النظرية هي التي اعتمدها المستشرق الفرنسي " **إنري ذوكاكا** "[1] في بحثه الذي أعده خصيصا لدراسة ديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب؛ دراسة وشرحا وتحليلا.... وذلك لإبراز مواطن الضعف والخلل في مجتمع أصيل ظل لقرون عدة متقوقعا على ذاته؛ مستمسكا بأعراف وتقاليد الأسلاف الأولين؛ محافظا بعض الشيء على أصولهم ومتتبعا خطى عترتهم[2] حتى سقط في شراك المستعمر وعانى الكثير من ويلاته...

والمجذوب نفسه كان يصرح بهذا ويقر به في كثير من أبياته الرباعية بحيث يقول في جرأة بلاغية وتبليغية منقطعة النظير:

تخلطات ولابغات تصفى ولعب خزها[3] فوق ماها (وفي رواية: ولابات تصفى)

ريـــاس علـــى غيـــر مـــرتبة همـــــا ســـــبب خلاهـــــا

الــــــــــزمان وناســــــــــه وجـا هـاد الـزمان بفاسـه راح ذاك

وكـــل مـــن يـــتكلم بالحـــق كـــــــسروا لـــــه راســـــه

بهـــت النـــساء[4] بهتـــين مـــن بهـــتهم جـــيت هـــارب

---

(1) إنري ذوكاكا: مستشرق فرنسي وباحث في علم الاجتماع.. لم أقف له عن ترجمة محددة.

(2) عترتهم: من العترة وهي النسل والذرية.

(3) خزها: هي أعشاب لزجة تميل إلى اللون الأخضر غالبا ماتكون ملتصقة بالصخور سواء في النهر أو البحر.

(4) بهت النساء: هي الحيل المنطوية على الرجال من أجل قضاء أغراضهن الملتوية، وقيل على أنه هو كيد النساء.

يتحـــــــزموا باللفـــــــاع ويـــــــتخللوا[1] بالعقـــــــارب

ولا ننسى بأن غالبية الأبيات الشعرية كانت بمثابة عصا العز؛ كثيرا ما كان يلوح بها الشيخ المجذوب بعيدا إلى ذوي الألباب ولم يكن المقصد منها هو الضرب بالشكل المعهود والمألوف؛ وإنما تحذيرا وتنبيها من أجل استصلاح الخطأ مع درك ما فات... فهو يعد نفسه ويحسبها من الذين أبتلوا بشر المرأة وضرر المرأة وسخط المرأة وغضب المرأة وغلظة المرأة وشدة قساوتها وجفائها مع نكران الجميل وهجران المعشر.... علاوة إلى ذلك فلقد زاده الأولاد في الطين بلة وفسادا... كانوا أربعة ولم يأخذوا عن الشيخ المجذوب أي شيء.... فيالها من حسرة!!!!!

أليس هو الذي أفنى شبابه من أجل رعايتهم وتربيتهم؟ وأشقى عمره بغية استصلاحهم وتكوينهم تكوينا يليق بمقام العارفين والصلحاء في هذه الأرض حتى يكونوا خير خلف لخير سلف؟

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب نيابة عن ذلك في حسرة تامة:

الطيـــــر الطيـــــر مــــا ظنيــــته يطيـــر مـــن بعـــد مـــا والـــف

ترك قفصي وعمر قفص الغير رماني في بحور بقيت تالف (وفي رواية: **خلى قفصي........ خلاني تالف**)

جـــبت اولادي يقلعـــوا تـــنكادي زادونـــي تـــنكاد علـــى تـــنكاد[2]

اذا كانـــوا الاولاد كـــيف اولادي لا يعطـــــي للـــــضانيين[3] اولاد

فهو يشبه زوجته هنا بالطائر الغريد الذي طالما ألف شدوه الشيخ

(1) يتخللوا: من الخلخال وهو الدملج الذي تضعه النساء في معصمهن من أجل إظهار الزينة والتجمل، والمقصود هنا هو أن المرأة بأساليبها وحيلها يمكن أن تحقق أغراضها وتصل إلى ما تريد بكل يسر وبساطة.

(2) تنكاد: من النكد وهي كثرة المشقة والتعب.

(3) الضانيين: المقصود هنا الرجل الصالح والمرأة الصالحة اللذان ابتليا بالذرية الفاسدة، والتي لا نفع من ورائها.

المجذوب والشدو هاهنا هو كثرة اللوم والعتاب والسب والقذف الذي كان دائما يواجهه من طرف زوجته... وهو رغم ذلك صابر محتسب أمره لله عز وجل... ويقال بأنها قد هجرته بعد ألفة ومؤانسة ومعاشرة دامت سنين وتزوجت من غيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وفي الشطر الثاني يتحسر على قلة المعين وغياب النصير الذين هم أولاده بعد ما زاغوا عن الحق واتبعوا ما ألفوه من لهو وعبث ومجون،،، **والعاقل كما يقال يحكمه النص والبيان بينما الغافل اللاهي يحكمه الواقع حتى يسقطه في ردهاته وهفواته....** ولا عجب أن يكون الشيخ المجذوب من الذين استبصروا بحقائق الأمور واسترشدوا بتجلياتها حتى قيل بأنه كان يجري في كلامه **الإخبار عن اللوح المحفوظ**[1] **ورؤية ما به.**

وحجته على ذلك والله اعلم هو هذا البيت الذي يتنبأ فيه ويقول:

طاقـــوا[2] علـــى الـــدين تـــركوه و تعاونـــوا علـــى شـــريب القهـــاوي

الـــثوب مـــن فـــوق نقـــوه و الجـــبح[3] مـــن تحـــت خـــاوي

وفي هذا إشارة على أنه سيأتي على أهل المغرب زمان يشتغل الناس فيه بكثرة الملهيات والأخبار والشواغل التافهة كإنشاء المقاهي والمنافسة عليها وإكثار اللغط فيها مضيعة للوقت مع الاهتمام بمظاهر الحياة وزخرفها والتعلق بها أشد التعلق مع التخلي عن الدين وعن الصلاة ككل... ولا حول ولا قوة إلا بالله....

---

(1) اللوح المحفوظ: هو العلم الذي اختص فيه الله بالغيب ولم يطلع عليه أحد من خلقه (إلا من شاء من أنبيائه وأوليائه) فلا يعلم مابه إلا هو سبحانه وتعالى.

(2) طاقوا: يعني لم يقدروا على فعل الشيء أو القيام به رغم أنهم كانوا ملزمين به.

(3) الجبح: هي خلية النحل... والمقصود هنا المظهر الخارجي.

الباب السادس:
فن الملحون و أقطابه الثلاثة

تتألف أشعار المجذوب من مصراعين مقفيين، في لغة ليست بالدراجة ولا الفصيحة، وإنما هي جماع بينهما كما هي لغة " الملحون "

ويتبادر إلى ذهني الآن قطبان جليلان في هذا المجال:

*الأول هو القطب الكبير سيدي عبد الرحمان المجذوب وهو (من نتحدث عنه الآن).

*والثاني هو القطب الكبير سيدي عبد القادر العلمي، المعروف بسيدي قدور العلمي[1].

* أما الثالث فهو الولي الصالح الشيخ أحمد ابن عروس الهواري.

من هو ابن عروس هذا وما قصته؟ وكيف حاكى الشيخ المجذوب في رباعياته المشهورة؟

لم أستطع الوقوف على حقيقة هذا الرجل؛ إذ سرعان ما تضاربت الروايات في ما بينها مشكلة قصصا غريبة وناسجة حكايات أسطورية حول حقيقة هذا الشيخ، وما توصلنا إليه من معلومات لا يفي بالغرض وإليكم هذه القصة:

الشيخ أحمد ابن عروس الهواري :متصوف كان في بدء أمره قاطع طريق، له ولأشعاره العامية شهرة عالية في مصر وفي تونس على حد سواء. والأرجح أنهما

---

(1) سيدي عبد القادر العلمي: (المعروف بسيدي قدور العلمي) هو الولي الصالح سيدي عبد القادر بن أحمد بن القاسم الإدريسي الحمداني، شيخ الحكمة وفيلسوف الملحون. ازداد بمدينة مكناس عام 1154 هـ، وتوفي بها يوم الاثنين 26 رمضان 1266 هـ. عاش 112 سنة، وعاصر فيها كل من السلطان مولاي سيدي محمد بن عبد الله ومولاي اليزيد ومولاي سليمان ومولاي عبد الرحمان بن هشام.

شخصيتان مختلفتان وأن ابن عروس لقب أطلق على المصري المتأخر تشبيها له بابن عروس التونسي (ت 868هـ) ويقال أنه ولد في بعض قرى قوص[1]،في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وكان (كما ذكر الأستاذ **أحمد رشدي صالح**[2] في كتابه: الأدب الشعبي ص119) في بداية أمره قاطع طريق يتعيش بالسلب والسطو على أموال الناس، ويقال أنه بقي أكثر من ثلاثين سنة خارجا على القانون في صعيد مصر، ويذيع اسمه كلص خطير فتأتيه الهدايا من سائر البلاد استرضاء له واتقاء لشره (ولما ناهز الستين أقلع عما كان فيه وخرج عن كل ماله وظل هائما على وجهه في البلاد ناسكا متصوفا إلى أن صار واحدا من أقطاب التصوف، ويعرف أتباعه اليوم في مصر بأولاد عروس وينشدون أشعاره في المناسبات الدينية على غرار أولاد أبي الغيط " تحريف أبي الغيث " الذين يماثلونهم في أسلوب الإنشاد والرقص على ضربات الدفوف وما يرونه أيضا من توبة شيخهم أبي الغيث بن جميل الملقب بشمس الشموس وكان في بداية أمره يقطع الطريق في اليمن.

ويذهب بعض الباحثين إلى أنه في الحقيقة لا وجود لشخصية ابن عروس (المصري) وأنه ليس إلا صدى الغموض الذي أحاط أصلا بشخصية ابن عروس التونسي أبي الصرائر (ذي القرنين) أحمد بن عروس الهواري ابن الطرابلسية (مع الاختلاف في نسبته إلى هوارة البربر أو هوارة هاشم أو هوارة الصعيد عند من يزعم مصريته) وكل هذه المشاكل بقيت تراوح في مكانها بالرغم من أن **الشيخ عمر بن علي الجزائري**[3] وضع في ترجمة أحمد بن عروس التونسي كتابا ضخما يتجاوز ال (500) صفحة، بعنوان (ابتسام الغروس ووشي الطروس في مناقب قطب الأقطاب

(1) قوص: قوص... هي الآن مدينة العلم والعلماء ومركز بمحافظة قنا. تقع على الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي 645 كلم.

(2) الأستاذ أحمد رشدي صالح: كاتب مصري وأديب وسياسي وعاشق التراث.. ولد عام 1920 وتوفي عام 1980

(3) الشيخ عمر بن علي الجزائري: لم أقف له على ترجمة محددة.

سيدي أحمد بن عروس) وكانت وفاته حسب اجتهاد الشيخ عبد الكريم البرموني يوم 8/ صفر/ 868هـ) بعدما بلغ من العمر (115) سنة. وإليه في أحد القولين تنسب الطريقة العروسية المنتشرة في مصر وأنحاء تونس، وسبب ذلك أن خليفته المعروف **بأبي تليس القيرواني**[1] ترك تونس إلى مصر وكان يقيم الحضرة العروسية في الأزهر، وكانت مربعات ابن عروس تنشد في تلك الحضرة بمرافقة البنادير =الدفوف= وعند ارتفاع الدقات يقوم المنشدون برقصات توقيعية خفيفة الحركة . ويقال أن أشعار ابن عروس بلغت مجموعتها ثلاثمائة مجلدة، ولكن صاحب تونس في ذلك الزمان استفتى فيها شيوخ الإسلام فأفتوا بحرقها لكن النار كانت بردا وسلاما عليها فأمر أن توضع في سفينة وتلقى في عرض البحر، فلما ألقوها خرجت سمكة كبيرة بحجم جبل أحد وابتلعت الكتب ومكثت تلك الكتب في جوفها سبع سنين، فلما ماتت ألقاها الموج إلى ساحل الإسكندرية في ظلام الليل، فكان لها نور عظيم كوميض البرق، وحين جاء الناس وشاهدوها اتفقوا على اقتسامها، وعندما شقوا بطنها ووجدوا الكتب فيها شاع الخبر إلى أن بلغ تونس فسارع حاكمها لشراء الكتب من حاكم الإسكندرية، وبذل في سبيلها ذهبا وفيرا[2].

ومن الباحثين من يقول بأن ابن عروس هذا هو مصري مائة في المائة ما في ذلك ريب وبأنه ازداد بقنا عام 1780م زمن حكم المماليك ويرى **عبد الرحمن الأبنودي**[3] أن شخصية ابن عروس أسطورية وليس لها وجود في الواقع ابتكرها الناس وانشدوا على لسانها كشخصية جحا فيقول انه سمع عنها أيضا في تونس أثناء

---

(1) أبي تليس القيرواني: هو الشيخ أحمد أبو تليس القيرواني؛ كان عالماً صالحاً زاهداً؛ رمي بالزندقة، وهرب إلى بني وليد، ولما توفي أمير القيروان رجع إليها، ومات عن عمر يناهز الخمسين عاماً.

(2) مقتبس من موقع الانترنيت حول حياة الشيخ أحمد ابن عروس.

(3) عبد الرحمان الأبنودي: شاعر مصري، ويعدّ من أشهر شعراء الشعر العامي في العالم العربي شهدت معه وعلى يديه القصيدة العامية مرحلة انتقالية مهمة في تاريخها. ولد عام1938 كتب عدة أغانٍ للعديد من المطربين، والفنانين الكبار..

جمعه للسيرة الهلالية... إذ كان البعض يرى أن ابن عروس تونسيا قدم إلى مصر، أقام بها ومات..

فان الفنان الباحث " **محمود الهندي** "[1] خلص إلى بعض ما يعتقده صحيحا بعد بحث طويل: وهو ما أشار إليه في كتابه الهام ابن عروس.. السيرة/اللوحات/النصوص " الذي صدر مؤخرا عن سلسلة " الدراسات الشعبية " بالقاهرة.

"من الممكن أن يكون ابن عروس تونسيا، حضر إلى صعيد مصر، وترك خلفه طريقته في المربعات (القطعة الشعرية من أربعة سطور) ، ثم عاد إلى تونس ليدفن هناك.

ومن الممكن أن يكون مصريا، عاش حياة قطاع الطريق في صعيد مصر، ثم تحول إلى الزهد والتصوف ,وكعادة المتصوفة الرحال، فرحل إلى تونس، ويموت على أرضها.

كما يمكن ترجيح وجود شخصين، كلاهما يحمل اسم ابن عروس، واحد بمصر والآخر بتونس، وكل منهما كتب الشعر بنفس الطريقة، وبنفس التناول" .

أضيف فقط سبب تسمية هذا الشاعر بهذا الاسم " ابن عروس

يقال والعهدة على الراوي:

انه كان من قطاع الطريق ولصاً محترفاً وكان الكل يخشاه ويهابه وذات يوم كانت تمر قافلة وأراد هو ومن معه السطو عليها وهجم اللصوص علي القافلة واستولوا علي مابها وكان من بين القافلة هودج[2] عظيم ولا يعلم أحد ما به... ذهب إليه شاعرنا ولم يكن يومها بشاعر وانزله وشاهد مافيه ويقال أن من بداخله كانت

(1) محمود الهندي: فنان وباحث مصري معروف لم أقف له عن ترجمة محددة.

(2) الهودج: هو بيت يصنع من القماش يأتي على شكل خيمة؛ يوضع فوق سنام الجمل وغالباً ما تكون النساء والحريم بداخله... وذلك تحرزا من سطوة اللصوص الذين كانوا يغيرون على القوافل بغتة، ووقاية من حر الشمس.

شابة رائعة الحسن باهرة الجمال، وكانت عيناها تشع سحرا ونورا أرادها.. فرفضت ...اشترطت عليه البعد عن عالم السطو والسرقة وافقها واعتزل عالم الجريمة وأصبح شخصاً آخر من بعدها عاش لكتابة الشعر ولهذا أطلقوا عليه ابن عروس...

هذا، وكما سبق أن أسلفت فليس هناك حقيقة مطلقة مؤكدة حول شخصية وسيرة هذا الرجل، وأعتقد بأن ابن عروس الحقيقي كان مصريا وبأنه هو الذي ازداد بقنا[1] عام 1780م أي أنه عاش في القرن الثامن عشر وذلك بعد وفاة الشيخ المجذوب بقرنين على حسب أقل تقدير ممكن، والشاهد عندنا هنا هو وجه المقارنة والتقارب النسبي في كل من رباعيات الشيخ المجذوب ومربعات الشيخ ابن عروس بحيث هناك محاكاة وتشابه كبير في طريقة أشعارهما بحيث أنهما اتخذا مجرى واحدا نسقا ومعنى...

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب وهو السابق:

فاعـــــل الخيـــــر هنـــــيه بالفـــــرح والـــــشكر ديمـــــا
وفاعـــــل الـــــشر خلـــــيه فعلـــــه يـــــرجع لـــــو غـــــريمه

ويقول ابن عروس وهو التالي:

اللـــــي علـــــى الخيـــــر هنـــــيه وبـــــشره بالغنـــــيمه
واللـــــي علـــــى الـــــشر عـــــزيه بكـــــره يلاقـــــي غـــــريمه

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب في موضع آخر:

بهـــــت النـــــساء بهتـــــين مـــــن بهـــــتهم جـــــيت هـــــارب
يتحـــــزموا باللفـــــاع ويـــــتخللوا بالعقـــــارب

ويقول ابن عروس:

كـــــيد النـــــسا يـــــشبه الكـــــي مـــــن كـــــيدهم عـــــدت هـــــارب
يتحـــــزموا بالحـــــنش حـــــي ويتعـــــصبوا بالعقـــــارب

---

(1) قنا: هي محافظة تقع جنوب القاهرة بحوالي 600 كلم. تحدها من الشمال محافظة سوهاج، ومن الجنوب أسوان ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الغرب محافظة الوادي الجديد.

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

نكويك بالنار وإذا بريت نزيدك يا القلب

يا قلب خلفت لي العار وتريد من لا يريدك

ويقول ابن عروس:

يـــا قلـــب لاكـــويك بالـــنار وإن كـــنت عاشـــق لازيـــدكْ

يـــا قلـــب حملتنـــي العـــار وتـــريد مـــن لا يـــريدك

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

مـــن يامـــنك يـــا كحـــل الـــراس ماشـــــينك بطبـــــيعة

الـــسن يـــضحك للـــسن والقلـــب فـــيه الخديعـــة

ويقول ابن عروس:

مـــن يبغـــضك لا يحـــبك ولـــو طعمـــته الحـــلاوة

الـــسن للـــسن يـــضحك والقلـــب كلـــه عـــداوة

فلا غرو إذا أن يكون ابن عروس هو الوحيد الذي حاكى الشيخ المجذوب في رباعياته مع اختلاف محسوس في انتقاء الكلمات المعبرة؛ وهذا بطبيعة الحال راجع بالأساس إلى اختلاف اللهجات واللكنات أما من حيث المعنى فيظل هو هو مع الالتزام التام بقواعد النظم صياغة وتناسقا وتركيبا.

الباب السابع:
من هو جيل الثورة في القرن الواحد والعشرين؟

كثيرا ما يتبادر إلى ذهني هذا السؤال: من هو جيل الثورة؟ من هم حاملو مشعل العزة والكرامة والحرية؟ لماذا نعيش الآن مع الطاغوت في حرب عشواء صلداء كلداء[1] لا هوادة فيها ولا حس!!!!! أو بالمعنى الأصح حرب صماء بكماء!!!!!

فإذا كان الشيخ المجذوب هو أول من كشف القناع عن ديكتاتورية القرن السادس عشر وطواغيتها؛ فهو إذا هو أول من أشعل فتيل هذه الثورة متحديا قوة السلاح وبطش الحاكم الطاغوتي... معلنا بأشعاره تلك ورافعا سبابته إلى السماء بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وبأن كرامة الإنسان وحريته وحقوقه لا تعطى وإنما تنتزع، وبأن شرف الأمة ككل لا يضيع ولا يزول إلا إذا كان حكامها صم بكم عمي...

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب في أحد أبياته البليغة الرائعة:

ضـــــربت كفـــــي لكفـــــي وخممــــت فـــي الأرض ســـاعة

صـــبت قلـــة الـــشي ترشـــي وتـــــنوض مــــن الجماعـــــة

الأمـــان يـــا بنـــي الامـــان والأمـــــان يقطـــــع الـــــرقبة

حطـــيت يـــا بنـــي الإحـــسان جـــبت الـــبلا بـــلا ســـبة

إللـــي يـــركب يـــركب أشـــهب[2] طـــرز الـــذهب فـــي لجامـــه

(1) صلداء كلداء: إشارة وكناية عن الشيء الصلب الساكن الثابت، والذي لا تحركه التأثيرات ولا تغيره المؤثرات.

(2) شهب: هو الحصان القوي الجامح.

إللي يدور يقول كلمة الحق	**يدير هراوة[1] في حزامه**
أنا للي رقيت في رقوبة	**وقعدت مثل الرصاص ندوب**
من لا يقر للزمان عقوبة	**يجي على راسو مكبوب[2]**

من هنا أيها السادة يمكننا أن نستخلص مكونات ومعدات الثورة،،، ومن هنا كذلك يمكننا أن ننطلق حاملين لواء العز والشرف والكرامة... ولكن ما هي النتائج المترقبة؛ أو بمعنى آخر أين هي الحلول؟ وإلامَ ستؤدي هذه الحلول؟ هل إلى تحقيق المراد والأهداف المرجوة! !!!!!أم أن الأمر سيظل جامدا والوضع كما هو عليه... أعني أقوال لا أفعال؛ عهود لا بنود وهكذا....

في الشطر الثاني يقول الأمان يابني الأمان.. آه! !!!!هذا هو أصعب موقف يمر به الثوار على الإطلاق... وتفسير ذلك هو ما يلي: نحن الآن أمام طاولة، الكل يدلي بدلوه، توحدت الآراء وانتهت المناقشات، وخلص الثوار إلى شيء مهم وإلى قرار حاسم متفق عليه ولا رجعة فيه... ماذا كانت النتيجة؟ إفشاء السر وكشف المستور إلى المعنيين بالأمر من أحد الثوار الطامعين (**أو البياع**)[3] نتج عنه خيبة أمل كبيرة وانقطاع خيط الأمان الموصل إلى النجاة ثم ماذا؟!!!!!!! ثم وقع ما وقع...... أي (جبت البلا للراسي بلا سبة).. وهذا ما يطلق عليه اليوم بمصطلح "**الخيانة**"...

في الشطر الثالث إشارة إلى الاعتماد على أصحاب الخبرة والحنكة السياسية الدارسين لأوضاع البلاد العالمين بأحوال وهموم العباد.. وهو ما يطلق عليهم اليوم باسم **النخبة** "[4] وهم الأعضاء المعتمد عليهم في تسيير الخطط وإعداد المناهج وانتقاء المخططين للقيام بذلك... والحق أحق أن يتبع... فعندما

---

(1) هراوة: هي العصا الغليظة، والتي غالبا ما تستعمل للضرب.

(2) مكبوب: هي سوء المنقلب والمرجع.

(3) البياع: هو الشخص الذي ينقل الأخبار من شخص لآخر بغية اللجاج أو الخصومة أو الاقتتال... أو هو مفشي السر الخطير للمعنيين بالأمر... وهو الواشي عموما.

(4) النخبة: هي مجموعة من خيرة الشعب وأفقهها بالعلوم سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية وتقابلها لفظة الرعاع أو الضغام، وهي الفئة المنحطة من المجتمع أو الشعب..

يسود الظلم وينتشر الجور فيصبح هو الحاكم فعندئذ يمكن أن تقوم القيامة.

أما الشطر الأخير فهو استنكار تام على كل مايجري.... فعندما تخرس الألسن وتقمع الحريات ويشتد الضغط على بني الإنسان... عندئذ يحدث انفجار هائل... فإما أن يموت الجميع؛ وإما أن يحيا الجميع... والبشر كل البشر هم سواسية أمام الحق وأمام القانون فلا فرق بين أسودهم وأبيضهم إلا بالتقوى والعمل الصالح...

ومـــن لـــم يقـــر للـــزمان عقـــوبة   يجـــي علـــى راســـو مكـــبوب..

إشارة واضحة من الشيخ المجذوب إلى **نهج سياسة التغيير** لدرء الخطر ولتفادي الوقوع في الآفات النابعة من تقلبات الزمن والتحولات الإيديولوجية..

هذا ولكي لا تتكرر نفس المآسي، ولكي لا تجتاحنا الأهوال والخطوب من جديد... والعاقل هو من يتعظ بقصص الأمم السالفة وما آل إليه مصيرها، ويستفيد من أخطائه ويصلحها على قدر الإمكان... وأن يحيل أو ينتزع مكان كل شوكة من قلبه وردة يزرعها في روحه.. فالشر لا يدوم والخير لا يفنى...

ولكن رغم ذلك تبقى ثورة الشيخ المجذوب - ثورة - خامدة لا روح فيها ولا حماس... ومرد ذلك إلى الزمن الذي عاش فيه وإلى أحوال أهله المتردية إن لم أقل المنحطة... وبالتالي فهو لم يكن يميل إلى إشعال فتيل الثورة، ولا حتى بالتحريض على ذلك، وباختصار كانت مجرد " **ثورة تلميحية** "[(1)] تعتمد في صلبها أو قاعدتها على الوصف الدقيق والمشاهدة الحية... هكذا... علاوة إلى الظرفية التي عاشها الشيخ والتي لازمت أهل ذلك الزمن.. فهي لم تكن في الواقع ظرفية تتجاوب مع إيقاعات تنظيم ثورة حقيقية ضد من يسمى بالحاكم الطاغوتي[(2)] رغم

---

(1) الثورة التلميحية: هي الثورة الخامدة كما نقول... أو التي يصرح بها صاحبها ولا ينوي القيام بها...

(2) الحاكم الطاغوتي: من الطاغوت وهو الشيطان، والمقصود هنا هو كل حاكم مستبد ظالم جائر.

أن البلاد كانت فعلا ترزح تحت وطأة الظلم والاستبداد والفوضى وعدم الاستقرار...

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب إشارة منه إلى غلاء المعيشة في زمانه وإلى تدهور الأوضاع بشكل خطير:

اللفـــــت ولات شـــــحمة وتـــباع بالـــسوم الغالـــي

فـــي القلـــوب مـــا بقـــات رحمـــة شـــف حالـــي يـــا العالـــي

اعطاته الكف والدف حتى رداته مثل الرغيفة[1] (وفي رواية: اعطاتها.......... ودارتها مثل الرهيفة)

تقول دقيقها مسلف والا كتسال للمعلم حسيفة[2] (وفي رواية: ولا تسال للمجدوب حسيفة)

اصعابيت علي يا المسكين واصعاب علي حالك (وفي رواية: شفتيني يا المسكين وشفاني حالك)

الزين ماتخذه والدين ما يعطى لك) و في رواية: ما ينعطى لك)

دكالـــــة[3] **يـــــا دكالـــــة مـــــا يدريـــــوها مـــــداري**

خوفـــي علـــيك يـــا دكالـــة مـــن حكـــام الـــدراري

هانحن الآن أمام قضية أخرى، هي في الواقع عدة قضايا: أيسرها أخطرها وإن هانت، وأصغرها أعظمها وإن قلت...

أولا: غلاء المعيشة المفرط.

ثانيا: انعدام الرحمة من قلوب الناس.

ثالثا: عدم إكرام الضيف ومنحه المقام الذي يليق به.

---

(1) الرغيفة: هي الخبز الرقيق ويسمى في بعض المدن " بالمسمن " والمقصود هنا الخبز المبالغ في رقته وحشوه وكأنه مجرد قشرة يابسة.

(2) حسيفة: هي كره الشخص مع إضمار الشر له والانتقام منه بشكل حسي.

(3) دكالة: هي منطقة فلاحية مشهورة بغلاتها الطبيعية وترواثها الحيوانية. تقع الآن في مدينة الجديدة.

رابعا: استصعاب الظروف المعيشية على المسكين الذي أضحى جسدا بلا روح.

خامسا: اللجوء إلى اقتراض المال أو الاستعانة بالديون أي (**الكريدي**)[1] من أجل العيش وقضاء المآرب الضرورية كالزواج مثلا... وفي هذا خزي ومذلة لكل عاقل لبيب مسترشد. مع منح هذا الدين لمن له الاستطاعة والقدرة فقط على تسديده وإرجاعه لصاحبه أو **الدائن**[2] كما هو معترف به الآن..

سادسا وأخيرا: إسناد الأمور إلى غير أهلها مع إعطاء الأولوية والأحقية إلى أبناء الأعيان أو الباشاوات، وهم الذين لا يفقهون في الأمور شيئا وليست لهم كفاءات فكرية أو قدرات علمية تؤهلهم على القيام بشؤون العباد،،، وفي هذا ظلم عريض وفساد كبير في تسيير الرعية.

(1) الكريدي: لفظة دخيلة على اللغة العربية الفصحى وتقابلها باللغة الفرنسية كلمة le crédit وهي الدين أو السلف أو اللجوء إلى اقتراض المال بطرق شتى.

(2) الدائن: هو الشخص الذي يقرض المال.

الباب الثامن:
الظاهرة[1] المجذوبية والظاهرة الغيوانية

... تحدثنا في السابق على أن الشيخ المجذوب كان بمثابة ظاهرة العصر الذي عاش فيه... واصفا ومحققا وشاهدا حيا على أحوال وخبايا أهل ذلك الزمن الغابر... فهو كان وسط مابين صفة " **الرحالة الملازم** " لحدود بلده؛ أو ما يسمى باللفظ الحديث " **الجوال المسافر** " وما بين **المترجم العابر**... وهو الشخص الذي يدون كل ملاحظاته سواء كانت صغيرة أو كبيرة خلال تجواله ومغامراته...

إن ما يهمنا الآن هو كيف كانت هذه الظاهرة؛ أو بمعنى أدق كيف عايش الشيخ المجذوب أحداث ووقائع وفتن أهل زمان القرن السادس عشر؟؟؟...... أين تتجلى معاناته على الخصوص؟؟؟.... كيف تحدى الصعاب والعراقيل لينجو بنفسه تارة وهو على شفا حفرة من الهلاك! !!!!!الغريب، الغريب هو كيف ظل ديوانه محفوظا ومصونا إلى يومنا هذا تارة أخرى بدون أن يتعرض للسرقة أو التلف والحرق، ونحن نعلم تمام المعرفة أن مرور خمسة قرون على وفاة صاحبه ليست بالأمر الهين... تقول بعض المصادر الموثوق منها بأن الديوان الحقيقي لسيدي عبد الرحمان المجذوب كان ينيف عن ثمانية آلاف بيت شعري... أخذ منها ما أخذ، وحذف منها ما حذف لأغراض سياسية، وكما نقول باللسان الدارجي الفصيح تعرض الديوان لعملية " **غربلة** "... وما نشاهده الآن وتقرأه العامة فهو ليس ديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب الحقيقي الخالص مائة في المائة.... علاوة إلى ذلك فاللهجة أو اللكنة التي كانت متداولة في القرن السادس عشر هي ليست نفس اللكنة

(1) الظاهرة: هي كل شيء مثير للاهتمام وملفت للنظر ظهر في يوم من الأيام ثم اختفى.. ولم يبقَ له وجود أو أثر.

التي نتحدث بها الآن... بطبيعة الحال هذا راجع إلى عدة عوامل لايتسع المقام هنا لذكرها أو حتى الخوض فيها... ولكن على الأرجح، وكما هو متفق عليه بإجماع فاللكنة التي كانت متداولة في زمن الشيخ المجذوب كانت غريبة نوعا ما ويصعب فهمها، ويغلب عليها **طابع البداوة** ومن المحتمل أن تكون هذه اللفظة تعادل في مفهومها اللغوي الآن مصطلح " **العروبية** "... ولنأخذ مثالا على ذلك:

عندنا الآن نموذجان:

الأول هو مأخوذ من هذه الأبيات التي يقول فيها الشيخ المجذوب:

درت مطمورة[1] في راس رافروف ومتنتها من كل جانب

عهدي بالمطمورة متينة ساعة من تحت شارب

حليل[2] من ماتت امه وباباه في الحج غايب

وما صاب حد يلفه واصبح بين الدواوير[3] سايب[4]

آه يا محنتي عدت خماس[5] والتبن أعمى عيوني

خمست عند عرّت الناس في كي وجد العشا يزعكوني

يا حسرة بعد اللية والزبدة الطرية عدت نكدد[6] في عظام الراس

ومن بعد ركوبي على الشاحب العلوية عاد ركوبي على بغل نكاس

---

(1) مطمورة: هي حفرة كبيرة وعميقة تخزن فيها الحبوب عادة وتحفظ تحسبا للظروف... وهي خزان بالمعنى الأصح.

(2) حليل: (بتسكين الحاء وكسر اللام الثانية مع تشديدها) كلمة تقال للتعجب والاستغراب وهي لفظة دارجية بطبيعة الحال.

(3) الدواور: جمع الدوار وهو المدشر في القرية أو البادية عموما... يستقطب مجموعة من السكان تتخذ في تركيبها شكل القبيلة.

(4) سايب: من السيبة وهي الفوضى والاضطراب وعدم التعقل.

(5) خماس: هو الأجير الذي يشتغل في ميادين الفلاحة كالرعي والسقي والحرث والحصاد والدراسة وجني المحاصيل الزراعية...

(6) نكدد: كناية عن الجوع وأكل الشيء بشكل غريب.

النموذج الثاني:

الشر ما يظلم حد غير من جبده لراسه

في الشتا يقول البرد وفي الصيف يغلبه نعاسه

لا تسرج حتى تلجم[1] واعقد عقدة صحيحة

لا تتكلم حتى تخمم لا تعود لك فضيحة

من خالط الأجواد جاد بجودهم ومن ناسب الأرذال خاب ضناه

ومن جاور برمة[2] تطلى بحمومها[3] ومن جاور صابون جاب نقاه

راجل بلا مال محقور في الدنيا ما يسوى شي

المشرار[4] كالدلو المقعور[5] يوصل للما يرجع بلا شي

فأما كلمات:

مطمورة//حليل//الدواور//سايب//خماس//نكدد//تلجم//برمة//حمومها// المشرار// المقعور... فهي عموما كلمات أصيلة ومازالت متداولة إلى يومنا هذا؛ وإن كانت في العمق لها دلالة مترسخة في لغة تخاطب البدو وكذا إبراز مظاهر حياتهم وتفاعلات أنشطتهم اليومية...

بينما تظل كلمات: رفروف// شارب //عرة// يزعكوني// اللية... من الكلمات الغريبة والتي اندثرت منذ عهود قديمة فأضحت أثرا بعد عين،،، كلمات لامعنى لها ولا تتخذ في شرحها أي سياق يذكر...

ويقال بأن كلمة: يزعكوني أتت بمعنى يطردونني بالمفهوم الذي يوافق لهجتنا اليوم؛ أو (**يجريو علي**)...

---

(1) تلجم: من اللجام وهو رباط يستعمل في فم الحصان للتحكم في قيادته.

(2) برمة: إناء يستعمل للطبخ وطهي الطعام.

(3) حمومها: هو الأثر الذي تتركه النار تحت الإناء أو ما يسمى بالقاع... وهو ما يترك لونا أسودا داكنا وكأنه محترق.

(4) المشرار: هو الشرير عموما؛ أو الذي يضمر الشر للناس.

(5) المقعور: هو الشيء المثقوب فيتسرب منه الشيء سواء كان صلبا أو سائلا.

وعندنا كذلك كلمات: الشاحب العلوية // نكاس// الشر //صابون... هذه الكلمات جاءت في مضمونها كالواسطة ما بين لغة تخاطب البدو القديمة وما بين الغرابة اللغوية... أي أنها صعبة التداول الآن... بحيث جاءت كلمة:

الشاحب العلوية = بمعنى الخيل السريعة؛ العالية المقدار، الصعبة في ركوبها وكل من يمتطيها فهو بمثابة الفارس المغوار.

نكاس = كلمة تأتي بمعنى إدماج الحركة في نفس المكان وهو التباطؤ الشديد المتثاقل من لدن الشيء.

الشر = جاء هنا بمعنى الفقر، أوربما كان الفقر شائعا ومعروفا ومنعوتا في ذلك الزمن بالشر،،، على اعتبار أنه صفة مذمومة... كما هو الشأن بالنسبة لكلمة " الدين " بتسكين الياء وفتح الدال أي " الكريدي "

اليوم كانت في زمن القرن السادس عشر منعوتة بالذل... على اعتبار أن الدين كان ومازال ذلا بالنهار وهما بالليل ومجلبة للمشاكل في الدنيا والآخرة... وفي الآخرة أشد وأعظم...

صابون= هذه المادة المنظفة لم تكن موجودة في ذلك الزمن... بل لم تظهر بالوجه المشهور عليه إلا في غضون ازدهار أوربا وتقدم نهضتها الصناعية ...

ومما تقدم نستخلص مايلي:

//أن اللهجة المغربية القديمة هي ليست نفس اللهجة العامية التي نتحدث بها الآن؛ بل طرأت عليها عدة تغييرات لا من حيث الكلمات المتداولة ولا من حيث المعنى المحسوس.

//يمكن أن يكون ديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب هو الدليل الوحيد، والحجة البيضاء التي حافظت على براعة ورونق اللهجة المغربية الأصيلة من كل تحريف أو تبديل رغم مضي العصور وتوالي الأحقاب وتعاقب الأجيال.

// الحفاظ على التراث المغربي الأصيل يتطلب الاستمساك بالهوية المغربية والاعتزاز بالوطنية الحقة بلا زيف أو نفاق.

والواقع أن ظاهرة المجذوب كانت ظاهرة غير مكتملة وغير قابلة للتحقيق لسببين إثنين:

// السبب الأول:

أن عمل المجذوب كان عملا انفراديا وغير قابل للتجاوب مع الجماهير؛ أو مايسمى بالمصطلح الفقهي **سواد الأمة**،،، فهو في واد وهموم الأمة في واد.. علاوة إلى الانعزالية التامة والسفر الدائم اللذين اختصا بهما الشيخ كانا لهما الأثر البالغ في هروبه من **واقع متعفن وظروف جامدة** ولكن مع قوة الصبر وشدة الاحتمال استطاع التغلب على معاناته باعتبارها ابتلاءات دنيوية، وهي مقدرة بطبيعة الحال لتكون تزكية وتدعيما لولايته، واختبارا عسيرا على قوة صبره وجلده حتى قيل بأنه أحد **الأوتاد الأربعة** إشارة منه وبرهانا على أنه كان رابع أقطاب الأولياء المعروفين في ذلك الزمن والمشهود لهم بالكرامات الباهرة والحجة والبرهان...

// السبب الثاني:

فالمجذوب لم يكن رجل ثورة ولا حتى معارضا لأي حكم بالبثة... وأي حكم هذا الذي يعتمد في منهجيته على تنصيب هذا السلطان وخلع آخر مع تفشي ظاهرة **الاستهتار والوشاية** بشكل لافت،،، الأمر الذي أدى في الأخير إلى نشوب صراعات وفوضى واضطرابات كانت من نتائجها استغلال الفرص لقيام دولة جديدة ألا وهي الدولة السعدية...

والمجذوب نفسه كان يشهد على هذا بنفسه ويرد هذا الخلاف الحاصل مابين تنصيب هذا الحاكم وخلع الآخر إلى التشبث بقيم وعادات الأولين، ويتجلى هذا بالخصوص في تقليد مناصب الحكم عن طريق الوراثة من جهة وإلى عدم توافر الشروط المؤهلة لتولي الخلافة من جهة ثانية،،، حتى اختلطت الأمور ولم يعد يعرف هذا من ذاك... يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب في سخرية تامة ولغة مازحة:

هـــذا راه القـــرن ربعـــتاش لا هـــــنا لا معـــــاش

كـــــــي مـــــــول التـــــــسبيح   كـــــــي مـــــــول الـــــــشاش
تخلطـــــات ولابغـــــات تـــــصفى   ولعـــــب خـــــزها فـــــوق ماهـــــا
ريـــــاس علـــــى غيـــــر مـــــرتبة   همـــــا ســـــبب خلاهـــــا

الباب التاسع:
الظاهرة الغيوانية أو ما يسمى بظاهرة (الثوار الأحرار)



لدينا الآن ثلاث عوارض أساسية لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نغفل عنها؛ فهي القاعدة الأولى والركيزة المعتمد عليها للخوض في الحديث بكل صدق وواقعية؛ وهاته العوارض هي كالتالي:

أولا:

ظلم الحاكم وأعوانه للرعية أو ما يسمى **بالشعب** على وجه العموم.

ثانيا:

ظلم الرعية لنفسها.

ثالثا:

وظلم الرعية فيما بينها (يعني تطاحن الشعب مع الشعب).

فأما ظلم الحاكم وأعوانه للرعية فهو أمر معتاد ومشهور في كل زمان

ومكان... ودوافعه كثيرة وعديدة لا يمكن حصرها في مجال واحد، ولكن نذكر منها على الخصوص: **الغطرسة**، والعنجهية، والاستبداد، و**القهر**، وهذا على الوجه المشهور فقط...

فإذا كان الشيخ المجذوب قد صرح بوجوب قيام ثورة في القرن السادس عشر، ولم يحدث شيء فهي إذا تبقى مجرد " **ثـــــورة إعلانية** " تنتظر من يقوم بها،،، ولكن إلى متى سننتظر؟؟؟ ومن الذي سيجرؤ على القيام بها؟؟؟!!!!!!

هذا هو السؤال الذي يطرح نفسه دائما... والإجابة عنه تظل دائما منحصرة في موقف صعب ومخجل وجبان!!!!!!!!

لهذا السبب بالذات، وبعد مرور خمسة قرون من التربص والانتظار الطويل ستظهر مجموعة من المجاذيب؛ أو " الدراويش " متمثلة في خمسة فتيان،،، كما هو الشأن في فتية أهل الكهف[1] والذين لم تكن أعمارهم تتراوح ما بين 20 و23 سنة.... هذه المجموعة أطلق عليها اسم " **ناس الغيوان** "[2]... فكأن الله سبحانه وتعالى سخر هذه المجموعة لتنوب عن هذا الشعب المكلوم، ولتتكلم بصوته المبحوح، ولتذود عنه وعن حقوقه المهضومة، ولتترجم معاناته وهمومه إلى أغانٍ يطغى عليها طابع الألم والحزن والشجن... **(لست هنا بصدد الحديث عن هاته المجموعة كأشخاص وككشف للحقائق الذاتية)... وإنما سبقني أشخاص آخرون وتحدثوا بما فيه الكفاية عن تضحيات وبطولات وأمجاد هذه المجموعة وما قدمته... في سبيل الفئات المسحوقة[3] باعتبارها السواد الأعظم من هذه الأمة وما**

(1) أهل الكهف: هم فتية أو مجموعة من الشبان هداهم الله إلى طريق الإيمان بعدما عانوا الكثير الكثير من المعاناة مع ملكهم الطاغية " دقيانيوس " وقصتهم مشهورة ومذكورة في القرآن.

(2) ناس الغيوان: مجموعة موسيقية ظهرت بشكل لافت خلال عقد الستينيات من هذا القرن.. وهي الناطقة بلسان حال أهل الشعب. عرفت بنضالها وكفاحها المرير في وجه الظلم والذل والاستعباد.

(3) الفئات المسحوقة: هي الطبقة الفقيرة جدا من المجتمع (أي ذات الفقر المدقع)، وهي التي مازالت تسكن في أحياء الصفيح والقصدير...

تجرعته من آلام مريرة....

قلنا - وقولنا الحق - بأن هذه المجموعة ظهرت بشكل مناسب كانت تستدعيه الضرورة الملحة والظروف المأساوية التي كان يعيشها المغرب تحت وطأة **الاستعمار الجديد** وجلاديه.... وأستحضر هنا إحدى الكلمات التي سطرتها المجموعة وكتبتها بالدم حتى تبقى في **احتماليتها المضمونية** شاهدة وخالدة عن جور السلطان واستبداده بالشعب المغلوب على أمره... هذا الشعب الذي ظل صامتا وقابعا ومقموعا مدة خمسة قرون وهو يتنفس بصعوبة داخل كهوف مهجورة، وفي جوف آبار مقبورة لا مسلك فيها ولاماء

تقول هذه الكلمات والتي كان لها وقع أحدُّ من الحسام وأقوى من الشجاع الهمام:

عبيد الصنك المعبود يا كلوب الحجر

كلوب طايشة مليانة ب لغدر

سلسلتو لقبور... ها الحق... وها المنكر

الخز للصخر من هم لبحر شكا

والرياح العاصفة هجرات البرق والرعد

ما بين صخرة جامدة وعوافي زاندة...

ل صهد الريح هامدة

هذا ب مهمازه ينغز... هذا ما يرد عليه

لا دوا يداوي

حسبت عشرة وعشرة عرفتها شحال تساوي

القرن العشرين هذا

عايشين عيشة الذبانة ف لبطانة

راه الفرق عظيم بين التفاح والرمانة

واش من فرق بين أنت... وأنت... وأنا[1]؟



يمكننا القول بأن هاته المجموعة كانت امتدادا لما جاء به الشيخ المجذوب، والذي ندد وصرح أكثر ما مرة بمعاناة جيله وآلامه وما كان يطمح إليه من عزة النفس وكرامة الإنسان وحريته الكاملة في ممارسة حياته بالشكل المطلوب والمرغوب فيه... وهكذا نجد أن هناك توافقاً وانسجاماً تامين مابين الظاهرة المجذوبية والظاهرة الغيوانية،،، كما تعد هاته الأخيرة هي المكمل الرئيسي والمعادل الجمالي والفلسفي والفني لرباعيات سيدي عبد الرحمان المجذوب بحيث نجد أنهما اتحدا **معنى ومطلبا** وهدفا، **والغاية واحدة**.... مع فارق بسيط هو أن ظاهرة الغيوان خرجت من النطاق الضيق إلى آخر أكثر اتساعا وشمولية،،، ورفعت لواء الثورة متحدية الرصاص والقنابل والمدافع باسم **الحرية والسلام والتسامح**... وأضحت بعد مرور عقود من الزمن تدافع عن القضايا العربية بكل بسالة وجرأة... بما فيها **القضية الفلسطينية** على الخصوص...

إذا تحدثنا عن مجموعة " **ناس الغيوان** وذلك من باب الوصف الدقيق

---

(1) من الأغاني الشهيرة التي صدحت بها مجموعة ناس الغيوان فكان لها الصدى الإيجابي للتخفيف من معاناة الشعب ومداواة جراحه.

وجدناهم في صورة " **الدراويش** "[1] الذي يغني حالهم عن كل مقال... أناس آثروا حياة الزهد والقناعة والتواضع الجم عن حياة الترف والعلو والاستعلاء... وإذا تأملنا في ووجوههم وهيآتهم وجدناهم اتخذوا سمة أولياء الله الصالحين الذين طلقوا الدنيا طلاق الثلاث...

وإذا اقتربنا منهم أكثر فأكثر وجدناهم في أبهى صورة وأرفع مقام ألا وهو مقام **الثوار الأحرار** "[2] لقد تجرعوا جميعا **مرارة الألم والحرمان والجوع والعطش** وجور الحاكم وبطشه... يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب وهو الذي عاش في القرن السادس عشر مترجما هاته الآهـــات في بيت واحد، وكأنها نبوءة هذا العصر:

قلبـــي تقطـــع بالمـــواس[3]   مـــا جـــا يبـــرا نلـــوحه
مـــن كـــان كـــواي للـــناس   يـــصبر لكـــيات روحـــه

ويدعم هذا القول ويزكيه بيت آخر:

قلبـي جـاء بـين المعلـم والزبـرة   والحـداد مـشوم مـا يـشفق علـيه
يــردف لــه الــضربة علــى الــضربة   واذا بـــرد يـــزيد الـــنار علـــيه

وإذا اختلطت أصوات ناس الغيوان مع صوت الشيخ المجذوب صارت صوتا واحدا وهنا تكمن مصادر القوة مع الإتحاد والإصرار لتتحول إلى صورة معبرة عن الثورة الحقيقية بكل صدق وواقعية.. تقول مجموعة المجاذيب ناس الغيوان:

---

(1) الدراويش: مفرده درويش وهو الرجل الذي لا مأوى له ولا أهل... والمقصود هنا الفقراء إلى الله... الذين آثروا حياة الزهد والتقشف والتعبد على حياة الترف والمجون والضلال والبعد عن الله.

(2) الثوار الأحرار: مفرده ثائر وهو الرجل الذي يدافع عن الحق ولا يسكت عنه حتى ولو كان في ذلك مقتله أو هلاكه... وهم الرجال الذين حرروا البلاد من ربقة الاستعمار... كما أنهم يأتون في صور شتى، وذلك بما تمليه عليهم ضمائرهم من تضحيات ونضال وكفاح...

(3) المواس: جمع الموس وهي آلة حادة قاطعة وتكنى كذلك بالجنوي... وتوافقها في اللغة العربية السكاكين. والمقصود هنا الآلام الموجعة والمعاناة المفجعة...

قلبــي جــا بــين يــدين حــداد حــداد مــا يْحــنْ مــا يــشفق علــيه
ينـــزل ضـــربة عـــل الـــضربة وإلـــى بـــرد زاد الـــنار علـــيــه

سيل سيل يا الدم المغدور
تراب الأرض محال ينســاك
وحوش الغابة ترهبات منـك
السم ف الصحاري جافل منك
دم المغدور ما نْسْلّمْ فيـــه
حق المظلوم أنا مـا نـدوزه
يا طاعني من خلفي... موت وحدة هي
غير خودوني... لله غير خودونــي[1]

ويقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

مــا يــرقد فــي اللــيل مهمــوم اللـــي يحمـــل الـــذل مانـــع
مـــا يغـــسل العـــرض صـــابون مـــا يقلـــب القلـــب صـــانع

وترد عليه مجموعة مجاذيب ناس الغيوان:

مهمومــة يـا خيي مهمــومـة
مهمومــة هاذ الدنيا مهمــومـة
فيهـا النفـوس ولات مضيـومـــة
ولــى بنـادم عبـاد اللُّومـَـــة
المسكين ف همومه ساير يْلاَلِـــي
عايـم ف لفقايـص عومة محمومـة[2]

ويرد عليهم الشيخ المجذوب:

المكـــسي مـــا درى بالحافـــي والزاهـــي يـــضحك علـــى الهمـــوم

---

(1) من الأغاني الشهيرة لناس الغيوان والتي كشفت القناع عن كل ما هو مستور.

(2) من الأغاني الشهيرة التي غنتها المجموعة كذلك.

اللـــي نـــايم علـــى الفـــرش دافـــي والعـــريان كـــي يجـــيه الـــنوم

وترد عليه مجموعة مجاذيب ناس الغيوان:

نقول كلامي غادي فحالي

قولوا لأمي وقولوا لأختي

كلها وفين جاتو

فهاد الزمان كلشي غضبان

المرض والحزون وأنا مخزون

الصبر فصدري جنوي مدفون[1]..

ويرد عليهم الشيخ المجذوب:

يـــا نـــاس مـــن شـــاف دمـــي غابـــت عنـــي الـــسمية

للبحـــر نـــشكي بهمـــي ينـــشف يولـــي تنـــية

وترد عليه مجموعة مجاذيب ناس الغيوان:

من الظهر طعنتوا الأحرار

واللي جرى راكم عارفينو

ارميتونا فالظلام

هاحنايا يا سيدي فردهاته[2]

ويرد عليهم الشيخ المجذوب:

إللـــي يـــركب يـــركب أشـــهب طـــرز الـــذهب فـــي لجامـــه

إللـــي يـــدور يقـــول كلمـــة الحـــق يديـــر هـــراوة فـــي حـــزامه

وترد عليه مجموعة مجاذيب ناس الغيوان:

فين غادي بيا أخويا فين غادي بيا

دقة تابعة دقة شكون يحد الباس

---

(1) من الأغاني الشهيرة التي غنتها المجموعة كذلك.

(2) من الأغاني الشهيرة التي غنتها المجموعة كذلك.

لا تلومونا ف الغربة يا هاد الناس

لا تلومونا ف الغربة وُليعة الغربة[1]..

ويرد عليهم الشيخ المجذوب:

الـــريح والـــسحاب رشـــات والغـــــيم اظـــــلام علـــــي

جـــيت نقـــول كـــلام الحـــق واللـــــــوم ولا علـــــــي

وترد عليه مجموعة مجاذيب ناس الغيوان:

هـــذا ابـــن آدم ولـــى مقهـــور.. بانـــــت فـــــيه العلامـــــة

كلامـــــه ولـــــى محـــــصور.. حتـــــى لـــــيوم القـــــيامة[2]..

ويرد عليهم الشيخ المجذوب:

راجـــل بـــلا مـــال محقـــور فـــي الدنـــيا مـــا يـــسوى شـــي

المـــشرار كالدلـــو المقعـــور يوصـــل للمـــا يـــرجع بـــلا شـــي

وترد عليه مجموعة مجاذيب ناس الغيوان:

باسمك"

تخلطات الشياه بلا نظام والديب رعاها

كثرات الهموم يا المولى والعين بكـات

الهم سيطر عل ليام وجاب خلاها

الرشوة ولفساد ف الدنيا جات المحنات

الشر والتزوير... لحرام والقتل بَّاهَا

عمات لقلوب يا المولى مشات الحياة

لطفك قريب يا سيدي اهدي من عماها

ترجع البشرى يا المولى لدوك الخيات[3]

ويرد عليهم الشيخ المجذوب:

(1) من الأغاني الشهيرة التي غنتها المجموعة كذلك.

(2) من الأغاني الشهيرة التي غنتها المجموعة كذلك.

(3) من الأغاني الشهيرة التي غنتها المجموعة كذلك.

فاعل الخير هنيه بالفرح والشكر ديما

وفاعل الشر خليه فعله يرجع لو غريمة

الأرض فدان ربي والخلق مجموع فيها

عزريل حصاد فريد مطامره في كل جهة

ويقول الجميع بصوت واحد:

يا صَاحب كُن صَبّار أُصبر على ما جرَى لَك

أُرقد علَى الشُوك عريان حَتّى يَطلع نهَارك

نرقد على الشوك عريان أو نضحك للي جفاني

نصبر لتعوس الليام حتى ياتي زماني

مكتوب ربي نوديه والصبر واجب علينا

واللي نحبوه نخليه يا ناس ما اعتاها غبينة

اللي بغانا نبغوه على محبة الله نلموه

اللي بغانا نبغوه على محبة الله نلموه

اللي بغانا نبغوه على محبة الله نلموه

الباب العاشر:
وفاة سيدي عبد الرحمان المجذوب



... ثم أتت بعد هذه المجموعة بسنوات قليلة مجموعة أخرى هي " **جيل جيلالة** "[1]؛ فكانت بمثابة الحصان الجامح الذي يخترق كل شيء، ويتخطى جميع الحواجز بلا ترهيب أو ترغيب... بيد أن هاته المجموعة، وإن كانت قد حافظت على أصالتها وبقيمتها الأخلاقية إلا أنها لم تأت بجديد؛ أما طريقة غنائها فهي طريقة محافظة نقية صافية اتخذت **فن الملحون**[2] كأداة لها؛ بل إن صح القول أيقظت وأحيت هذا الفن من مراقيده الأولى ومنحته روح التجديد والانتعاش...

وأكثر ما يعجبني في هذه المجموعة هو الصدق في الأداء والجرأة البلاغية

---

(1) جيل جيلالة: هي مجموعة غنائية متميزة ظهرت في السبعينيات، وتعد بمثابة التوأم الغنائي لمجموعة ناس الغيوان. عرفت هي الأخرى بمواقفها الباسلة إزاء هذا الشعب المكلوم وما يعانيه من آلام وأحزان.

(2) فن الملحون: هو ضرب من الشعر الزجلي الغنائي. له ذوقه الخاص وطبعه السليم المعتمد على الوصف الدقيق والصدق في الأداء.

في تصوير الحقائق تصويرا دقيقا مع الالتزام التام بضوابط الوصف الحي مع تقريب الوقائع أكثر فأكثر للمعاناة التي يتخبط فيها المواطن البسيط الكادح الحقير مع إبراز كل الفروقات الطبقية وما تتنعم فيه وتتمايز به فضلا عن كشف الواقع الحالي المر لكل المجتمعات الفقيرة المغلوبة على أمرها وما تعيشه من أزمات خانقة ونكبات مارقة... فهي تعد بحق وحقيق المجموعة الثانية التي دافعت وناصرت جميع القضايا العربية؛ بما فيها القضية الفلسطينية على الخصوص... وكما قيل: " **ما يفعله القلم والصوت من تأثير على النفوس وتهييج الهمم ما لا يقدر على فعله السيف الحسام** "[1]... فالكلمات أبلغ وأسرع وأمضى من الضرب بالسيوف، كما أن الصوت أحد وأشد وقعا من الحفر بالفؤوس...

ولكن رغم ذلك؛ تبقى مجموعة **ناس الغيوان** و**جيل جيلالة** من أقدس وأخلد المجموعات الغنائية التي أنجبها المغرب من رحم مفعمة[2] بالتضحيات والمعاناة التي لا تنقضي ولا تزول مهما عاش الإنسان...

فهي مقدسة عند الله بنضالها وكفاحها وصمودها في وجه الطغيان، وخالدة في ذاكرة الإنسان العربي المغلوب على أمره وفي الأجيال المتلاحقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...

... وهكذا نجد أن كلا من سيدي عبد الرحمان المجذوب وناس الغيوان وجيل جيلالة كانوا بمثابة أصوات قوية وصرخات مدوية في وجه **الطغيان والظلم والاستبداد**.. فكما أن **لكل أمة رسول**،،، فهؤلاء جميعا هم كذلك **رسل للإنسانية**، وبشارة خير وحب وسلام...

لقد عانى الجميع معاناة لا مثيل لها وقاسوا الكثير الكثير، ومازال الكل يعاني إلى يومنا هذا... إن الإنسان مهما كان؛ فهو يظل في نظري إنساناً، ومهما أوتي من قوة وصبر وتضحية فلابد أن ينهار كل ذلك في يوم من الأيام... مادام

(1) الحسام: هو السيف القاطع البتار.

(2) مفعمة: مملوءة (أو ممتلئة) أو عامرة.

الطغيان والظلم والاستبداد هو **الثالوث المقدس**[1] لهذه الأمة **وشعارها الدائم....**

القانون العام لديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب:

يمكن اعتبار ديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب بمثابة **قانون عام لأحوال الناس الشخصية** يبين تجاربهم المختلفة وطرق معاملاتهم سواء مع بعضهم البعض أو مع أنفسهم... كما أننا يمكننا تشبيهه إلى حد تقريبي بالفيلسوف الإغريقي " **ديوجين** "[2] وحكيم الصين " **كونفوشيوس** "[3].. وهذا من حيث الأقوال الحكيمة والنصائح الرشيدة فقط... كما أننا هنا لا نتحدث عن مذهب كل واحد منهم... فهناك اختلاف كبير وفرق شاسع لا من حيث طرق تفكيرهم المتشعبة ولا من حيث الرؤى المتباينة.... ولكن بالرغم من كل ذلك فقد كانوا يتحدون في شي واحد ألا وهو " **الحكمة** "....



(1) الثالوث المقدس: من التثليث، وهي عقيدة مسيحية خاطئة توجب بموجبها أن تؤمن بأن مع الله إلها آخر أو اثنين أو ثلاثة والثالوث مكون من الأب والإبن والروح القدس. والمقصود هنا الظلم والطغيان والاستبداد.

(2) ديوجين: فيلسوف يوناني مشهور.

(3) كونفوشيوس: هو حكيم الصين وأحد فلاسفتها الذين ذاع صيتهم في آفاق الأرض..

فديوجين مثلا لم يكن يملك أي شيء.. وكان معتاداً على ضبط النفس والتقشف الصارم معرضا نفسه إلى البرد والحر الشديدين.. فكان يرتدي عباءة خشنة ويحمل عصا ومحفظة صغيرة ..ويعيش في برميل!!

ويقال أن ديوجين كان طوال حياته يحمل مصباحاً مضيئاً ويتجول به نهاراً... وعندما سألوه لمَ تحمل مصباحاً مضيئاً في النهار أجاب: أنا أبحث عن (honest man) وهي تعني (شريف.. محترم.. فاضل.. أمين ..مستقيم.. صادق.. صريح.. مخلص.. متواضع.. بسيط.. بريء)[1].

أما " **كونفوشيوس** ".. فيرى أن الأخلاق هي معيار كل شيء، وبأن الحنين إلى الماضي هو من طبع النفوس المؤمنة مع الجهر بالحق مهما كان مرا، وبأن أشقى الناس هو من يرضى بالذل والاستعباد ثم يسكت عنه... بينما يرى سيدي **عبد الرحمان المجذوب** بأن **القانون الأسمى للحياة** هو أن يسود العدل والإخاء والتسامح بين كل الناس؛ أو بين فئات كل مجتمع على حدى... لا فرق بين هذا وذاك إلا بالتقوى والعمل الصالح.....

وهكذا نجد أن **الدعوة إلى الحق** مع مراعاة **حقوق الإنسانية** من حرية وكرامة وعز... هي التي دعا إليها هؤلاء الثلاثة مع اختلاف بسيط وهو أن **ديوجين وكونفوشيوس** لم يكونا مسلمين ولكن كانت لهم سمة الأنبياء وأخلاق الأنبياء...

اختلف المؤرخون حول الوفاة الحقيقية لسيدي عبد الرحمان المجذوب، وتضاربت الأقاويل ما بين مؤيد لهذا القول بأن المرض كان أحد الأسباب المؤدية إلى وفاته؛ مع العلم بأنه لم يعمر طويلا، ويقال بأنه لما أحس بدنو أجله وصى بأن يذهب به إلى مكناس؛ فتوفي في الطريق بجبل عوف[2]؛ أو بين **ورغة**[3] **ووادي**

---

(1) مقتبس من موقع الانترنيت حول حياة ديوجين.

(2) جبل عوف: جبل يوجد بمحافظة عجلون في الركن الشمالي الغربي من العاصمة عمان ببلاد الأردن. وتبلغ قمته 1023 مترا. ولا يوجد جبل في المغرب بهذا الاسم...

(3) ورغة: هو اسم لوادي يعتبر من أهم روافد نهر سبو يوجد باقليم تاونات.

سبو[1]، ودفنوه بخارج مدينة مكناس بجوار **باب عيسى**[2] وذلك سنة 976 هـ؛ وبأن قبره موجود الآن بالقرب من ضريح **السلطان العلوي مولاي إسماعيل**[3]....

وهناك قول آخر: بأنه عاش مدة بالهبط الغرب ولما حل به مرض عضال وهو بداره ببوزيري[4] ببلاد مصمودة[5] وأحس بقرب الأجل أمر مريديه بالعودة به إلى مكناس[6] فتوفي في الطريق بمجشر فرقاشة بجبل عوف بين ورغة وواد سبو وسط ليلة الجمعة موافقا لليلة عيد الأضحى فدفن بخارج مدينة مكناس بجوار باب عيسى وذلك ضحوة يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة عام ستة وسبعين وتسعمائة (976 هـ) الموافق لـ 1568 م.

وهناك روايات أخرى تقول بأن سيدي عبد الرحمان المجذوب الحقيقي هو مدفون الآن بالقاهرة، وبأنه توفي بها عام 944 هـ لما كان عائدا من الحج...

ويقال بأنه في أواخر أيام حياته وقف بمكناسة على قبر سيدي عمران بن موسى[7] المجاور له هناك فأخذ وتدا ودقه حيث قبره الآن وقال هنا نعمر على

---

(1) واد سبو: هواسم لنهر في شمال المغرب. يبلغ طوله 458 كلم ومتوسط تدفق المياه به هو 137 متر مكعب /ثانية. وهو الأكبر من حيث الحجم وثاني أطول نهر في البلاد (بعد نهر أم الربيع).

(2) باب عيسى: من الأبواب الأثرية التي تشتهر بها مدينة مكناس.

(3) السلطان العلوي مولاي إسماعيل: من ملوك الدولة العلوية العظام (1672 - 1727) ، اشتهر بقساوة حكمه وشدة بأسه في توطيد الملك والاعتناء بالجانب العسكري وتشييد المباني الأثرية. اتخذ مدينة مكناس عاصمة لملكه وبها يوجد ضريحه.

(4) بوزيري: اسم لقبيلة تابعة لمدينة سطات وتكنى اليوم بقبيلة ولاد بوزيري، وهي منطقة فلاحية بالدرجة الأولى.

(5) بلاد مصمودة: من القبائل المغربية المشهورة.

(6) مكناسة: هي لقب لمكناس كانت تدعى في القديم بهذا الاسم مكناسة الزيتون لاشتهارها بزراعة أشجار الزيتون وزيته.

(7) سيدي عمران بن موسى: هو الإمام المحدث الحجة الحافظ أبو إسحاق، عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني السختياني ولد سنة بضع عشرة ومائتين بالعراق.. أما الذي تحدث عنه سيدي عبد الرحمان والمزعوم بأنه مدفون بمكناس فلا أصل ولا وجود له؛ بل =

سيدي عمران فلما مات حفروا له ووجدوا الوتد بحاله عن غير قصد منهم ولا علم بالوتد وكان ذلك منه إشارة إلى أنه أحد الأربعة أوتاد.

ولا نعلم صحة هذه الأقاويل... إلا لأنها جاءت من باب التأليف أو ما يسمى **بالخيال الخصب**[1] لمؤلفيها، وأصحابها (وأعني هنا الرواة) غير موثوق فيهم، وإنما جاء ذلك عن طريق التواتر في سرد الروايات المختلفة من عدة وجوه " **ولرب مشهور لا اصل له** "... وهكذا نجد أن الوجه المشهور والمسموح به هو الذي يأتي عن طريق السمع والمشافهة والحكي... وهو بطبيعة الحال يفتقر إلى ميزان الضبط وإلى المصداقية في الحديث... أي الدليل والحجة.....

وهناك رواية يمكن أن تكون أقرب إلى الحقيقة أكثر من قربها بالواقع المدروس،،، وهو أن سيدي عبد الرحمان المجذوب مات بطريقة غريبة؛ تشبه إلى حد ما الطريقة التي مات بها الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري[2] صاحب رسول الله... فبينما كان سيدي عبد الرحمان المجذوب يمتطي دابته المعهودة والتي كانت بغلا بطيء الحركة وهو في طريقه إلى الغرب إذ خر من فوقها بعدما أوصلته إلى مكان هو عبارة عن خلاء تحفه الأزبال من كل جانب وبالقرب منه يوجد صبية صغار يلهون ويمرحون... وإذ هو في الرمق الأخير من الحياة إذ تمتم بكلمات قال فيها:

أح أميمتي آش هاد الموت الغبينة[3] **غادي يجي السلطان ويردني وسط المدينة**

فلما رأوه الصبية أتوا إليه مهرولين فظنوه أحد المهابيل فبدأوا يلعبون معه ويلمسونه بأيديهم حتى تطايرت الأوراق التي كان يدون فيها كل أشعاره،،، ولم يبق

=

هو من باب المزاعم الكاذبة والمغالطات التأريخية.

(1) الخيال الخصب: هو الذي يعتمد فيه الكاتب على الخيال أكثر من الحقيقة التي هي أقرب إلى الواقع التأريخي.

(2) أبو ذر الغفاري: هو جندب بن جنادة من قبيلة غفار. صحابي جليل وأحد المبشرين بالجنة.

(3) الغبينة: هي حالة نفسية تنتاب المرء من حين لآخر جراء شيء يتضايق منه غالبا فلا يعجبه.

منها إلا القليل... فمرت جماعة من الناس ولم يعرفوه فأبلغوا الخبر لأحد أفراد المخزن أو العساكر، وأبلغوا بدورهم الحاكم عن موت رجل لا يعرفونه... فأتى الحاكم ومعه حاشيته وهو محيط بجنده؛ فلما رآه الحاكم أهابه وعلم بفطرته وذكائه بأنه رجل صالح وبأنه لن يكون إلا وليا من أولياء الله العارفين به... فأمر عساكره في الحين بأن ينظفوا ذلك المكان وبأن يدفنوا فيه ذلك الرجل الذي لم يكن إلا سيدي عبد الرحمان المجذوب، والذي من المرجح أن يكون قد عاش ثمانين عاما على أقرب تقدير ممكن، وبعد مرور السنين الطوال تحول ذلك المكان الذي كان يبعد عن مدينة مكناس بكيلومترات معدودة إلى مدينة تحيط بها المباني والمساكن والأشجار ويتجول فيها الناس ويأتون إليها من كل حدب وصوب وبهذا تكون نبوءة سيدي عبد الرحمان قد تحققت... أما ما مصير تلك الأوراق المتبقية من أشعار سيدي عبد الرحمان؟؟؟

فلا أحد يعلم ما الذي حذف منها وما الذي تبقى منها!!!!!!!!!!!!! ولكن هل كل قصائد سيدي عبد الرحمان المجذوب هي ما نتداوله اليوم؟

ألا توجد أبيات شعرية كثيرة تمت مصادرتها بقرار رسمي في وقت سابق؟

الباب الأخير:
الأبعاد الثلاثة لديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب



... هناك أبعاد عديدة لديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب، نذكر منها ما يلي:

... هناك **بعد تاريخي** بالدرجة الأولى وهو الأهم، وهناك **بعد سوسيولوجي** وهو تربوي توجيهي، وهناك أيضا **بعد إنساني** وهو جوهري في معناه؛ بالإضافة على أن هناك بعد آخر ألا وهو **البعد السياسي**؛ لكنه قديم نوعا ما.... (إلا أنه يستجيب للمطالب الذاتية والأحوال الشخصية، ويتوافق تلقائيا مع القانون العام والخاص)....

لكن السؤال الذي يطرح نفسه دائما.. هل كان في زمن الشيخ المجذوب قانونا سائدا ومتداولا؟ وهل كان هذا القانون مضبوطا ومنظما وعادلا بالشكل الذي

نراه نحن الآن؟؟؟

والواقع الذي لا **مرية**[1] **فيه**؛ أنه لم يكن هناك قانون سائد، وأعني هنا أنه لم يكن قانونا معروفا ومشهورا..

باستثناء **القانون الشرعي**[2] القديم الذي يعتمد على الأحكام الفقهية؛ والتي غالبا ماكان يقوم بها القاضي والفقيه معا... فالأول كان مجبرا وذلك بحكم خبرته وحنكته في الحياة بالفصل في قضايا الناس والحكم عليها طبقا لما جاء به الشرع الحكيم... أما الثاني فكان يقوم مقام النائب والشاهد والمحقق في تلك القضايا الشائكة، والتي كانت تتمحور وترتكز في غالبيتها حول مشكل الإرث والتنازع حول الأرض، وما شابه ذلك...

هاته القضايا كانت تنعت **بالقضايا الراسخة الثابتة**؛ بينما نجد القضايا المتعلقة بالسرقة والنهب **والقتل المجهول**[3]... شبه غائبة، وينعدم البت فيها والحكم على مرتكبيها.. بدعوى عدم توفر الحجج والدلائل البينة ضدهم؛ هذا من جهة أو استعصاء القبض على الجناة، وهذا من جهة ثانية... والكل يدرك بأن **المغاربة الأعراب**[4] في زمن القرن السادس عشر كانوا يلجأون إلى الاحتماء عادة في الأماكن **النائية**[5]، وإلى الفرار والجنوح إلى الكهوف والمغارات القديمة للاختباء فيها هربا من عيون الناس وأعوان السلطة؛ أو **رجال المخزن**[6] كما كانوا

---

(1) لا مرية فيه: لاشك ولا كذب ولا بهتان ولا تلفيق فيه.

(2) القانون الشرعي: هو القانون الذي يعتمد في دراسته على الأحكام الشرعية كمعرفة الحلال من الحرام، والمسائل المتعلقة بالإرث وفقا لما جاء به الكتاب والسنة.

(3) القتل المجهول: هو ظاهرة القرون الأولى، وعادة مشينة ورثها الجيل الأول أبا عن جد بدافع الانتقام أو السطو والنهب.

(4) المغاربة الأعراب: هم الذين كانوا يسكنون في البوادي والقرى بشكل مكثف؛ بينما القلة القليلة هي التي كانت تسكن في كبريات المدن كفاس ومكناس ومراكش....

(5) النائية: البعيدة أو القصية.

(6) رجال المخزن: هو رجل السلطة الأول، والحامي للشعب والدرع الواقي لها. والمخزن له أهمية كبرى وأدوار جليلة في الذود عن حمى الوطن وردع الخارجين عن القانون. من أجل =

ينعتون في القديم... لنعد قليلا إلى الوراء لنتحدث عن **البعد التاريخي** باعتباره الأهم من نوعه.. نعم وكما أسلفنا فالشيخ المجذوب عاش في خضم أحداث صاخبة بحيث داهمت المغرب آنذاك أهوال وخطوب وفتن عارمة لا يغني الوصف الدقيق في تصويرها أو التعبير عنها... والغالب؛ الغالب أن بعض المؤرخين من ذهب على أن الشيخ المجذوب عاين بنفسه سقوط **دولة بني مرين**[1] بسنوات قليلة جدا، وعاش كذلك أثناء حكم **دولة الوطاسيين**، وشهد بنفسه احتلال البرتغاليين لمدينة **البريجة**[2] **وموكادور**[3] **وأزمور**[4] **وآسفي**.... يقول سيدي عبد الرحمان في هذا الشأن:

آش هاد الجايحة[5] لضربات البلاد — وعم معاها الفساد
الحاكم غارق في هواه — ما يفطن، وهايم بين العباد
نغرس أنا بذرة تولي شجرة — قلبي شحال كواتو من جمرة
في الآخرة ذاك ما نصيبو — والعمر قصير لا يضيع
والظالم ربنا حسيبو — ما يسمع قول؛ ما يطيع

ثم أدركته الوفاة في عهد **الدولة السعدية**.

أما **البعد السوسيو لوجي**[6] فهو تربوي توجيهي وتعليمي، ويتجلى هذا

=

التطهير وإحلال الأمن والاستقرار بالبلاد.

(1) دولة بني مرين والوطاسيين والسعديين: دول تعاقبت على حكم المغرب بدءا من سنة1258 إلى حدود 1659 ميلادية.

(2) البريجة: (أو مازكان) هي مدينة الجديدة حاليا.. كانت تعرف في القديم بهذا الاسم.

(3) موكادور: هو الاسم القديم لمدينة الصويرة بحيث كانت عبارة عن جزيرة صغيرة، والفينيقيون هم أول من أطلق عليها هذا الاسم.

(4) أزمور وآسفي: مدينتان مغربيتان معروفتان.

(5) الجايحة: المقصود بها هنا الاستعمار البرتغالي إبان نهضته وازدهاره وقيامه بحملاته الاستعمارية.

(6) السوسيولوجي: من السو سيو لوجيا أي علم الاجتماع، وهي دراسة ومعرفة هموم المجتمع ومعاناته مقارنة بالواقع الذي يعيش فيه.

بالخصوص في الأبيات التالية:

الــــصـمت حكمـــــــة ومــــنو تتفــــرق الحكـــــايم
لـــو مـــا نطـــق ولـــد الـــيمامة[1] مـــا يجـــيه ولـــد الحـــنش هـــايم
الـــصمت الـــذهب المـــشجر[2] والكـــــلام يفـــــسد المـــــسألة
إذا شـــــــفت لا تخبـــــــر وإذا ســــــالوك قـــــــل لا لا
نوصـــيك يـــا حـــارث الـــدوم[3] والـــــدوم كثـــــروا نفاعـــــه
الـــدم مـــــا يـــــنفع الـــــدم يـــــاويح مـــــن خانـــــوا ادراعـــــه
نوصـــيك يـــا واكـــل الـــراس فــــــي البيــــــر ارم عظامـــــــه
اضـــحك والعـــب مـــع الـــناس فمــــك مــــتن لــــو لجامــــه
نوصـــيك يـــا حـــارث الـــشيح[4] والـــــشيح فـــــيه المـــــرورة
اللـــي تـــضن[5] وتقطـــع علـــيه تاتـــــيك مـــــنو الـــــضرورة
ســـــافر تعـــــرف الـــــناس وكبيــــــر القــــــوم طــــــيعه
كـــبير الكـــرش والـــراس[6] بـــــــنص فـــــلس[7] بـــــيعه
لا تـــسرج حتـــى تلجـــم وعقـــــد عقـــــدة صـــــحيحة
لا تتكلم حتى تخمم لا تعود ليك فضيحة (وفي رواية أخرى: لا تعود عليك)
حبيـــــــبك حـــــــبـــو والــــسر اللـــي بيـــنكم تخفـــيه
إذا حـــــبك حـــــبو اكثـــــر وإذا تـــــركك لا تـــــسال علـــــيه
اللـــــي حـــــبك حـــــبـــو وفـــــي محبـــته كـــن صـــافي

(1) ولد اليمامة: هم صغار الحمامة، وهي من الطيور الوديعة المسالمة الأليفة.

(2) الذهب المشجر: الغالي النفيس، والعالي الجودة.

(3) الـــدوم: من النباتات السميكة التي تنبت بالبادية، ومنه تنسج وتصنع بعض الأغراض التي يحتاجها أهل البادية.

(4) الشيـــح: من النباتات والأعشاب النافعة التي تستخدم في الطب النبوي ومذاقه مر.

(5) تضن: تمنع وتبخل وتقطع عليه.

(6) كبير الكرش والــراس: صفتان ذميمتان في طبع البشر الأولى ترمز على البطنة المبطنة؛ أو التخمة والثانية ترمز على التكبر والإعجاب بالنفس.

(7) الفلـــس: من النقود المتداولة في زمن القرن السادس عشر، وليست لها أدنى قيمة إذا ما قورنت بالدرهم آنذاك.

واللـــــي كـــــرهك لا تـــــسبو وخلـــــيه تلـــق العوافـــــي[1]

... إلى غيرها من الأبيات النفيسة؛ وإنما انتقينا منها ما يناسب المقصود، ويفي بالغرض المحدود... أما **البعد الإنساني** فهو كما أسلفنا جوهري في معناه؛ يدعو فيه الشيخ المجذوب إلى الخير والصلاح والسداد، ونبذ التحاسد والتباغض بين الناس؛ مع أخذ الحيطة وتوخي الحذر في جليل الأمور وعظيمها من الآثام والشرور.. نجده يقول في هذا الصدد:

الهـــــم يـــــستهل الغـــــم والـــــسترة لـــــيه ملـــــيحة
رد الجلـــــدة علـــــى الجـــــرح تبـــــرا وتولـــــي صـــــحيحة
فاعـــــل الخيـــــر هنـــــيه بالفـــــرح والـــــشكر ديمـــــة
وفاعـــــل الـــــشر خلـــــيه فعلـــــه يـــــرجع لـــــو غـــــريمة[2]
مـــن لا يطعمـــك عـــند جـــوعك ولا يحـــضر لـــيك فـــي مـــصايب
لا تحسبو من فروعك[3] (وفي رواية: من فزوعك أو اعوانك) **قد حاضر قد غايب**
مـــا كـــان كالحـــرث تجـــارة مـــا كـــان كـــالأم حبـــيب
ما كان كالشر خسارة ما كان كالدين (بفتح الدال وتسكين الياء) **طليب**
مـــثلت روحـــي للحمـــام مبنـــي علـــى صـــهد نـــارو
مـــن فـــوق مـــا بـــان دخـــان ومـــن تحـــت طابـــوا حجـــارو

أما **البعد السياسي** هنا؛ فهو بمثابة العقل المتقد والموجه الحقيقي إلى تسييس الأمور وعدم التسرع فيها؛ مع التكيف والتأقلم مع الظروف والملابسات الآنية والحاضرة وعدم التغافل عنها أو إهمالها.... ويجب علينا أن لا ننسى بأن هذا البعد السياسي قد يأتي في صور متعددة وشتى.. وهكذا نجده في ديوان سيدي

(1) العوافـــي: من العافية وهي السلامة والحفظ والصون.

(2) غريمة: ربما هي الغرامة، والمعنى أن الشر في آخر المطاف قد ينقلب على صاحبه ويصبح بمثابة غرامة يؤديها عن كل عمل خبيث فيه أذية للناس الأبرياء، وذلك لسبب من الأسباب كالحسد والبغض والكراهية.

(3) فـــروعك: أي أعوانك ومساعديك في الشدة والضيق.

عبد الرحمان المجذوب قد أتى في صورة **المرشد السياحي**[1].. والذي لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يطلعك على كل شيء؛ لأنه لا يعلم بسرائر الخلق إلا خالقها، وهو المقدر لها ولأرزاقها ومصائرها... يقول في هذا الصدد:

يااللـــي تعـــيط قـــدام الـــباب   عـــــيط وكـــــن فـــــاهم

مــــا يفـــسد بـــين الأحـــباب   غيـــــر النـــــساء والـــــدراهم

كـــــل دواي[2] مـــــسوس   يجـــيب الهلـــيكة لراســـو

ويـــستهل ضـــربة بمـــوس   حتـــى يـــبانو اضراســـو

ضـــربت كفـــي لكفـــي   وخممـــت فـــي الأرض ســـاعة

صـــبت قلـــة الـــشي ترشـــي   وتـــنوض مـــن الجماعـــة

ياذا الزمان يالغدار   ياكاسرني من ذراعي (وفي رواية: يا مهرسني)

طيحت من كان سلطان   وركبتي من كان راعي (وفي رواية: وطلعتي)

لا يعجـــبك نـــوار دفلـــى[3]   فـــي الـــواد دايـــر ظلايـــل

لا يعجـــبك زيـــن طفلـــة   حتـــى تـــشوف الفعايـــل

حيط الرمل لا تعليه (وفي رواية: سور الرمل) **يعلى يرجع لساسه** (وفي رواية: ولا تعمق في لساسه)

ابن الغير لا تربيه (وفي رواية: ولد الناس لا توصيه) **يكبر ويرجع لناسه** (وفي رواية: يكبر ويولي)

حـــديث النـــساء يـــونس   ويعلـــم الفهامـــة

يديـــرو شـــركة مـــن الـــريح[4]   ويحـــسنوا لـــيك بـــلا مـــا

---

(1) المرشد السياحي: هو الشخص المكلف بإرشاد السياح إلى الأماكن ذات البعد السياحي والتاريخي والحضاري مع التركيز على كل ماهو معروف ومألوف وغير خارج عن نطاق التجسس أو فضح العيوب؛ أو كشف للأسرار.

(2) دواي: هو المكثار أو المهذار أو الثرثار... وهو الذي يتكلم كثيرا في شؤون الناس ويغتابهم.

(3) نوار دفلى: هو نبات معروف بضخامة أوراقه وجمال شكله؛ بيد أنه لا يعطي الثمار ولا يصلح لشيء.

(4) شركة من الريح: أي قلادة وهمية، والنساء بطبعهن الخاص قد يصلن إلى ما يردن من خلال أقوالهن وكلامهن الذي ينفذ إلى رؤوس الرجال فيستحوذ على قلوبهم ويسحر عقولهم.

إلى غيرها من الأبيات ذات البعد السياسي الإصلاحي والبناء في نفس الوقت.... كما أنه يجب علينا أن لا ننس بأن الشيخ المجذوب قد عاش في زمن عسير وصعب جدا... يستحيل معه العيش الهانئ والاستقرار الدائم، وينعدم فيه الأمن وينحصر معه الدين في إطار ضيق.. بل جاز القول عندنا بأنه لا اعتبار للدين وقواعده، ولا للأخلاق ومبادئها، ولا للشرف وقيمه الرفيعة؛ وقد عاب كثيرا عن أخلاق زمانه في كثير من المواقف، ولم يتردد لحظة في إصلاحها وتقويمها على مذهب السنة والجماعة.. ناهيك عن تعرضه للمتاعب والمشقات، والسفر من مدشر[1] إلى مدشر ومن دوار إلى دوار ومن قرية لأخرى...

قاطعا تلك المسافات الطويلة وهو بلا زاد ولا ماء ولا راحلة؛ مسترشدا بهدي الله وبسنة رسوله.. ناصحا وواعظا، ومحذرا ومبشرا في نفس الوقت؛ حتى عان الكثير الكثير في حياته؛ فكأنه (نبي مرسل)... قد جاب السهل والجبل، واستنار العقول ومحا عنها ظلمة الجهل والخبل... ويدعم هذا القول ويزكيه في إحدى رباعياته المشهورة، والتي قال فيها:

اللـــــي علينـــا احـــنا درنـــــاه   واللــي علــى الله هـــــو بـــه أدرى
خـــيط المحــــبة فنيـــــناه   مــا خــصته غيـــر الــمــدرى[2]

ومن كثرة تجواله وترحاله من مكان إلى مكان؛ أضحى[3] أسود اللون، رث الثياب، طويل الشعر واللحية؛ غريب الهيئة والمنظر، ومن كان هذا هو حاله فهو محتقر ومهان من طرف جهلة القوم وسفهائهم... يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب حكاية عن نفسه:

---

(1) مدشر: هو الناحية من القرية أو الجزء منها وقد يأتي في صفة الدوار أو القبيلة.

(2) المـــدرى: هي آلة يستعملها الفلاح من أجل قضاء أغراضه وهي ذات رؤوس حادة ومعروفة.

(3) أضحـــى: أصبح وعاد.

شافوني اكحل مغلــــف[1] (وفي رواية: مهلف) **يحسبوا مـــا في ذخيرة**[2]
وانــــــا كالكــــتاب المؤلـــــف فـــــيـــه مـــــنافـــع كثيـــــــرة

في ديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب نجد بأنه قد ذكر لنا بعض النقود المتداولة في زمانه؛ حتى وإن لم تكن فيها عملة محددة ومميزة وخاصة... يذكر لنا مثلا **الدرهم والفلس والمخروم**... فأما الدرهم فكان مصنوعا من الفضة الممزوج بالنحاس؛ أما الفلس فكان ممزوجا بالنحاس والحديد وهو أقل قيمة من الدرهم... بينما المخروم كان عبارة عن قطعة حديدية مربعة الشكل، وكانت تخرم أي تثقب ثلاث مرات ثم ترمى بعد ذلك... أي إذا استوفت فيها ثلاث ثقب فعندئذ تصبح **لاغية**[3] وغير متداولة، وهي من الأمور الغريبة التي شاعت وحدثت بشكل اعتيادي في زمن القرن السادس عشر... فكيف يعقل أن تتداول هاته القطعة النكرة لثلاث مرات فقط ثم تلغى صلاحيتها بعد ذلك؟؟؟ بعض المؤرخين قال: بأنه لا عيب في ذلك ما دامت تقوم مقام **المقايضة الاحتياطية**[4]، وأعني هنا سلعة بسلعة وبضاعة ببضاعة؛ حتى وإن اختلفت هاته السلع حجما وشكلا ونوعا... ومنهم من قال بأنها كانت تقوم مقام **الرهن**[5]، وتنوب عنه لفترة معينة مؤقتة إلى حين الحصول على الدراهم واسترداد ما سلف.

وهكذا يظهر لنا بجلاء ووضوح بأنه كان للمخروم دور فعال وايجابي وحساس خصوصا فيما يتعلق بالمعاملات التجارية إلى أن الغي واستبدل **بالقرش**[6] إبان حكم الدولة السعدية للمغرب.

---

(1) مغلــــف: أي بكثرة تجواله من مكان إلى آخر تغير لونه بفعل حرارة الشمس.

(2) ذخيـــرة: أي منفعة أو فائدة.

(3) لاغيـــة: أي مرفوضة وغير صالحة للاستعمال.

(4) المقايضة الاحتياطية: أي إعطاء شيء مقابل شيء إلى حين الحصول على المال، وهي من المعاملات التجارية الجاري بها العمل.

(5) الرهـــن: هو أخذ الشيء كرهينة إلى أن يسلم مقابله المال.

(6) القـــرش: هو قطعة نقدية معروفة ذات قيمة محددة مازالت تستعمله بعض الدول العربية إلى يومنا هذا.

أيها القارئ الكريم

كم كنت أتمنى أن يكون لدينا في زماننا هذا أمثال، أمثال سيدي عبد الرحمان المجذوب؛ سيرة وسلوكا وأخلاقا... لقد ضرب لنا أروع الأمثلة في هذه الحياة الفانية، واستخلص لنا منها العبر والدروس وذلك من خلال تجاربه المريرة، ومعاناته القاسية.. حتى قال عنه أهل زمانه:

قالـوا نـراك كثيـر الـسير مجـتهدا.... فـي الأرض تنـزلها طـورا وتـرتحل

فقلت لو لـم تكن في السير فائدة.... ماكانت الشمس في الأبراج[1] تنتقل

... أليس هو القائل في إحدى حكمه البليغة: " **ليس من الصعب أن تكون حاكما؛ لكن من الصعب جدا أن تكون حكيما** ".. فأنت مثلا يمكن أن تكون حاكما على نفسك ضابطا لها، ورادعا لأهوائها[2]؛ يمكن أن تكون كذلك حاكما في أسرتك مربيا ومعلما وناصحا لها، وكذلك الشأن في مجتمعك..... لكن من الصعب عليك أن تكون حكيما مستبصرا بخبايا[3] الأمور وحقائقها؛ فالحكمة شيء عظيم من الصعب أن تناله؛ إلا بقدر خبرتك وحنكتك في الحياة مع الصبر على البلاء وخشية المولى في السر والعلانية، وصدق الله العظيم إذ يقول: " **ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا** "...

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب في إحدى أبياته البليغة والحكيمة:

كـــسبت فـــي الدهـــر[4] معـــــزة وجـــــبت كـــــلام رباعــــــي

---

(1) الأبراج: هي مجموعة من النجوم المتقاربة على أشكال مختلفة وهي حقيقة كونية موجودة... لها معانٍ عدة وتشتمل على أن لكل مولود برجه الخاص به.

(2) الأهواء: هي الملذات وإتباع الشهوات.

(3) الخبايا: الأسرار ومكامن الأشياء.

(4) الدهر: الزمن، وظــروف الحياة.

العبد، ماذا ما اعطاه ربي (وفي رواية: ابن آدم ما اعطاه) ويقول اعطاني ذراعي

لا تخمـــــم لا تدبـــــر لا تـــرفـد الهـــم ديـمـــة
الفلـــك[1] مـــا هـــو مـسمـــر ولا الدنـــــيـــا مقـــيـــمة
يـــا زارع الخيـــــر حـــبة يـــا زارع الـــشـــر ياســـر
مـــول الخيـــر ينـــبـــا ومــــول الـــشـــر خاســـر
مـن يـا منك يـا كحـل الـــراس مـــا شـــيـــنك بطبـــيـــعة
الـــسن يـــضحك للـــســـن والقلـــب فـــيـــه الخديـــعـــة
مـــزين النـــساء بـــضحكات لـــو كـــان فـــيـــها يدومـــوا
الحـــوت يعـــوم فـــي المـــاء وهمـــا بـــلا مـــاء يعومـــوا
الـــشاشية[2] تطـــيـــع الـــراس الـــوجه تـــضويـه الحـــسانـــة
المكـــســـي يقعـــد مـــع الـــناس العـــريـــان نوضـــوه مـــن حـــدانـا
القمـــح يـــسمـــوه الـــربح ذريـــــه يمـــشـــي اغـــبـــاره
القلب اللـــي كان مهمـــوم اللـــون يعطيـــك اخبـــاره (وفي رواية: يعطي)
مهبـــول[3] مـــن يحـــرث الفـــول فـــي شـــط مـــالح يلـــوحه
مهـــبول مـــن ياخـــذ القـــول فـــي صـــاحب عـــوض روحـــه
الدنـــيا مثلـــتها دلاعـــــة[4] تتكـــركب مـــع جمـــيـــع الـــدلاع
الحاذق[5] يعـــطي معـــاها ساعـــة والجـــايـــح[6] خـــذا معاهـــا قـــاع

---

(1) الفلك: لها معاني عديدة... وقد تأتي بمعنى السفينة العظيمة؛ أو ما يدخل في علم الفلك والنجوم.

(2) الشاشية: هي العمامة؛ أو هي ثوب أبيض طويل يلف حول مقدمة الرأس لتزيينه وإضفاء الوقار على صاحبه.

(3) مهبـــول: هو الذي فقد عقله؛ أو المجنون عموما.

(4) دلاعـــة: من الفواكه الصيفية المعروفة؛ لها فوائد جمة على صحة الإنسان، وفي شأنها رويت بعض الأحاديث النبوية.

(5) الحاذق: هو الشخص الفطن الماهر بذكائه وحسن تصرفه وتدبيره.

(6) الجايـــح: هو ضد الحاذق وهو الشخص الهائم على وجهه المسرف في ملذاته وقد تأتي هذه الكلمة بمعنى الضال.

الدنـيـا مثلـتها دراعـة[1] مـا يلبسها غير اللي يشطح
يلبسها ويدوح بها ساعة وينكد عليها بعد ما يفرح
الدنـيا مثلتها دلاعة تتقرقب ما بين الدلاع
ماذا لحقوها من طماعة رماتهم في بير ما له قاع

حوست شعاب وعرقوب[2] (وفي رواية: حوصت) وحوست عرب الزناقي
المال قطعة من القلب جربتها من عناقي

يا قايل العار كيفاش يحلى كلامك (وفي رواية: كيفاه)
تمرض ولا تعود تزار (وفي رواية: ولا عدت) وتتفكر الناس عارك

ما يرقد في الليل مهموم اللي يحمل الذل مانع
ما يغسل العرض[3] صابون ما يقلب القلب صانع
خفيف الأقدام[4] يتمل لو كان وجهه مراية
قليل الاكتاف[5] يتذل لو كان جهده عتاية
يا ويح من طاح في بير وصعاب عنه طلوعه
فرفر ما صاب جنحين يبكي وسالوا دموعه
اللي طارت من سعود أيامها تتخبل في ريشها وتعيش
واللي قعدات من تعوس أيامها ما هي بالصحة ولا بالريش
لا يعجبك نوار دفلى في الواد داير ظلايل
لا يعجبك زين طفلة حتى تشوف الفعايل

وشرح ذلك وتفسيره هو صعب على وجه العموم.... كما أنه لا يحتمل معنى واحدا، ولا يجوز لنا بأي حال من الأحوال أن نقيده بمعنى معين موحد؛ لأنه

---

(1) دراعة: لباس خفيف معروف يرتديه الرجال عادة في فصل الصيف.
(2) شعاب وعرقوب: هي الأماكن الجبلية البعيدة والمرتفعة عن سطح الأرض، وتشبه إلى حد ما الهضاب.
(3) العرض: هو الشرف وعزة النفس وقمة شموخها.
(4) خفيف الأقدام: هو الشخص الذي يتردد على الناس كثيرا؛ فيملُّونه ويكرهونه بعد ذلك.
(5) قليل الأكتاف: هو الذليل الحقير المستكان.

لا يعلم بمعنى الكلام إلا صاحبه أو راويه.. والإنسان مهما أوتي من قوة الفكر وسحر البيان؛ إلا أنه لا يستطيع أن يجزم الأشياء ويحكم عليها من خلال فهمه الخاص بها، وإلا فسيسقط في هوة[1] عميقة يصعب عليه الخروج منها... فالظن والتأويل والتخمين مع عدم اليقين ليس برهانا مقنعا ولا حجة دامغة على معرفة الأمور بحقائقها ومفاهيمها الصحيحة؛ هذا ومما تقدم فإنه يصعب على أي كان أن يشرح ديوان سيدي عبد الرحمان المجذوب؛ أو حتى أن يبسط مفاهيمه ويبرز مقاصده.... وسآخذ على ذلك ثلاثة أمثلة لأبين للقارئ مدى صعوبة شرح رباعيات سيدي عبد الرحمان المجذوب.

المثال الأول/

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

يـا ويـح مـن طـاح فـي بيـر وصـعاب عـنه طلـوعه
فرفـر مـا صـاب جنحـين يبكـي وسـالوا دمـوعه

فهذا الكلام يحتمل معنيان الأول مجازي والثاني حقيقي: فأما المعنى المجازي فهو كما رأيت وقرأت **ياويح من طاح في بير وصعاب عنو طلوعه فرفر ما صاب جنحين يبكي وسالوا دموعه**.... فكأنه لغز محير ويصعب إيجاده وتفسيره، وهذا ما يسمى عندنا **بالمعنى الظاهري**... أي أنك تفهمه من خلال ظاهره فقط وكما هو مكتوب؛ أما المعنى الحقيقي فهو كالتالي:

فعندما يصعب على الإنسان الوصول إلى أهدافه أو نيل مرغوبه؛ أو يقع في ضائقة[2] مالية فتسقطه الظروف في الديون الطائلة؛ أو تحدث له مشاكل فيضيق رزقه ويسود حاله وتنقطع به السبل؛ فإنه في هاته الحالة وتلك إلى من سيلجأ؟؟؟ أين هو الملاذ[3] الآمن، وأين هو المعين والناصر بل أين هو السند القوي

(1) الهــوة: هي الحفرة، والمقصود هنا هي المتاهات والمفاهيم الخاطئة.
(2) ضائقة: هي الأمر العسير؛ أو الظرف العصيب.
(3) الملاذ: هو الملجأ أوالوجهة الصحيحة.

(والذي يتجلى بالخصوص في الأهل والأحباب والأصدقاء وغيرهم....)... فالإنسان لم يخلق في هذه الأرض ليعيش وحده... بل لابد له من الاجتماع كضرورة معاشية ملحة للتغلب على المشاكل والمصائب والملمات... هذا هو المعنى الحقيقي ومن المحتمل أن يكون في شرح وتبسيط الشطر الآنف[1] ذكره... وهو ما يسمى عندنا **بالمعنى الباطني** الجاري به في كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب، ولا ننسى بأن هذا البيت الشعري قد دخل في نطاق ما يسمى بتنبؤات الشيخ المجذوب الرامي إلى الهجرة والسفر إلى بلاد المهجر، والدال على ذلك هو لفظة " **البير** " التي أتت هنا بمعنى الغربة وما يترتب عنها من مشاكل نفسية ومعيقات فكرية، ويساند هذا الكلام.. كلام آخر قد انفصل عنه لسبب من الأسباب.. يقول فيه الشيخ المجذوب:

مثلت روحـــي لتبيب (وهو طائر الهدهد) **في كـــل شجـــرة ينـــادي**
يعـــيـــط يـــا قلــــــة الحبـــيب يـــــا خروجــــــي مـــــن بــــلادي

والمقصود هنا بالحبيب... قلة المعين وانقضاء النصير، وهم الأهل والأصدقاء والخلان، وكل ما فيه مصلحة للعباد؛ ولكن الظروف قد تفرق بين هؤلاء جميعا، وقد يكون الموت هو الحائل في بعض الأحيان أو جلها... ويدعم هذا الكلام؛ كلام آخر قد انفصل هو الآخر.. يقول فيه سيدي عبد الرحمان المجذوب:

الــــريـــح والــــسحاب رشـــــات والغـــــيـــم اظـــلام علـــــــي
الاحـــباب كـــاع، كـــاع[2]،كفـــــات بقـــيت فـــريـــد، العمـــد علـــــي

فبموت الأحباب والأهل والأصدقاء.. لا يصبح للحياة معنى، بل لا يلذ عيشها ولا يطيب، ولا تحلو معها الأوقات؛ (حتى وإن كان الموت علينا حق، وسنة من سنن الله في الكون)... إلا أنه يحز في النفوس حزا ويؤثر في القلوب أيما تأثير.. فيصعب بذلك نسيانه.. فكيف بهاته الحال إن ذهب بأهلك وأصدقائك، وكل من

---

(1) الآنف: السابق.

(2) كاع كاع: أي جميعهم؛ أو كلهم.

هو أقرب إليك وعزيز عليك؛ فلا شك إذا أنك ستظل وحيدا، فريدا، منعزلا وهذا ما أشار إليه المجذوب بقوله: " **بقيت فريد، العمد علي** "..... فالعربي (كيفما كانت جنسيته) من الواجب عليه أن يحضن أخاه المسلم إن وجده في بلاد المهجر، وأن يضمه إلى صدره ضما؛ ويكون له عونا ونصيرا، وأن يساعده على قدر استطاعته فإن لم يفعل فعليه أن يعيده إلى بلده بدل أن يتركه عرضة للضياع والهلاك... وكما أسلفنا فهاته من **الأمور الغيبية** التي وإن لم تحدث في زمن الشيخ المجذوب، إلا أنها حدثت في زماننا هذا...

المثال الثاني /

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

اللـــي طـــارت مـــن اســـعود ايامهـــا   تتخـــبل فـــي ريـــشها وتعـــيش

واللـــي قعـــدات مـــن تعـــوس ايامهـــا   مـــا هـــي بالـــصحة ولا بالـــريش

والمعنى هنا ظاهر للعيان... فالمرأة التي تتزوج في سن صغيرة؛ أو بالأحرى يكتب لها بأن تتزوج في سن مبكرة... فهي التي تتغلب على أمور الحياة الزوجية، وتتحمل أعباءها من إنجاب وتربية للأولاد... وهي التي تستريح من كل ذلك عند كبر السن وتقدمه، ولها في ذلك ميزتان أساسيتان:

أولا الزواج في سن مبكرة مع غنيمة الأولاد، وهذا من أولى الأوليات التي دعا بموجبها الإسلام وأوصى بها.. (ولأن في ذلك حصول البركة)..

ثانيا قد تصبح أما وهي في ريعان شبابها... وجدة إن تقدم بها السن مع التمتع برؤية الأحفاد... أما اللي قعدات من اتعوس ايامها؛ فهي إشارة واضحة إلى المرأة العانس... التي كانت ترفض كل من يتقدم لخطبتها بدعوى العيوب أو النفور، وهي التي تحرم طيلة حياتها من الزواج الهانئ والخلفة الطيبة، وإن كانت هذه المسألة هي مصيرية ومقدرة ومحتمة من عند المولى عز وجل، وفي ذلك حكمة.. فلا دخل للبشر فيها.

المثال الثالث /

يقول سيدي عبد الرحمان المجذوب:

لا يعجبك نوار دفلى في الواد داير ظلايل
لا يعجبك زين طفلة حتى تشوف الفعايل

وتفسير ذلك أن الأمور تأخذ من خلال جوهرها ولبها ولا ينظر إليها من خلال ظاهرها، فالظاهر لا يغني المرء في شيء إذا كان خاليا من العلم والأخلاق والقيم؛ فلا يجب الوثوق بالمظاهر على كل حال، ولا يجب الاعتماد على أصحابها مهما علت مراكزهم في المجتمع؛ كما أنه " **ليس كل ما يلمع ذهبا** "

ويوافق هذا البيت بيت آخر قد انفصل عنه لسبب من الأسباب؛ يقول فيه الشيخ المجذوب:

شد في الجبل برجلين لا يغرك قمح الغرب بوجهين

إشارة منه على أن الزراعة والسكن في أعالي الجبال أو بجوارها هي أفضل بكثير من العيش في السفح أو النزول فيه... والحق يقال فالعدو يمكنه أن يصل إليك ويستولي عليك إذا كنت مرابضا بالسفح، وقد تتعرض للكثير من المحن والمصائب جراء الحوادث الطبيعية أو ما شابهها؛ رغم جمال انبساطه ووفرة غلته وسهولة التكيف معه... إلا أنه يظل في الأخير عرضة للخطر والموت الوشيك.



وقفة تأملية



إذا تأملنا جيدا في حياة سيدي عبد الرحمان المجذوب؛ وجدناها حافلة بالمغامرات العجيبة، والأخبار الشيقة أما رحلاته العديدة والشاقة... فهي لا تخلو بدورها من مفاجآت وطرائف..

ومن بين هاته الطرائف زيارته إلى **شيشاوة**[1]، وهناك صادفه رجل في الطريق فقال له: " يا شيخ ادعُ الله أن يخفف عني من أعباء العبادة فإني لا أطيقها " فاستغرب سيدي عبد الرحمان من هذا الكلام، وعلم بذكائه بأن أهل هاته البلدة لا يطيقون الصلاة ولا يؤدونها في أوقاتها... بل **الأنكى**[2] لا يؤدونها بالبتة؛ فدعا لهذا الرجل فما هي إلا لحظات حتى صرخ الرجل: " هيشاو، هيشاو (بفتح الهاء وتسكين الياء).. يقولها مرارا وتكرارا، وهو يضحك.. ثم يعدو ويروح.. فعلم الشيخ المجذوب بأن الله قد استجاب دعوته لهذا الرجل؛ بأن أفقده عقله وبذلك يكون قد سقط عليه التكليف...

---

(1) شيشاوة: منطقة فلاحية مشهورة بغلاتها الطبيعية.. تابعة لإقليم مراكش.

(2) الأنكى: الأحمق والأعجب.

وبينما هو سائر في الطريق إذ أحس بشيء يمر حدو رقبته؛ فلما تبينه وعلم أنه حجر **صلد**[1] كان مستهدفا به من قِبَلِ أحد اللصوص وقطاع الطرق، فما كان على المجذوب إلا أن فر **مهرولا**[2] وهو يقول:

شيشاوة، شيشاوة لامحبة، لاخاوة   غيـر المـا كيـتهاو

فماهي إلا أيام معدودات؛ حتى نشبت الحروب القبلية بين شيشاوة وجيرانها...

ويقول بعض المؤرخين بأن الشيخ المجذوب صعد ذات عشية إلى **ربوة**[3] عالية ليشاهد غروب الشمس، وهو منظر عجيب وأخاذ.. فبينما هو يستحضر عظمة الله في خلقه... إذ قال:

الدنيا شروق وغروب   والمكتوب ما منه هروب
ساعة بساعة   يفرج مولانا الكروب[4]
إيه، الزمان كيغير الأحوال،   وكيبدل الوجوه يا المجذوب
هذه أرضي وأرض جدادي   فيها الأهوال[5]**؛ فيها الحروب**
الدنيا شروق وغروب   والمكتوب ما منه هروب

... وهاته من الأمور التي كان يحدث بها المجذوب أهل زمانه؛ إلا أنهم كانوا لا يصدقونها، ولا يعيرونها أي اهتمام.. ولكنها حدثت بعد موته، وبذلك يصدق من قال بأن المجذوب كان يجري على لسانه علم المستقبل، وهو ما آل إليه الوضع الآن... فكل ما يحدث ليس بغريب عنا؛ بل تنبأ به المجذوب زهاء ما يقرب خمسة قرون....

لما انتهيت من انجاز هذا الكتاب؛ فكرت مليا وقلت في نفسي: " لابد لي

(1) صلد: قوي وصلب.
(2) مهرولا: أي مسرعا؛ نافدا بجلده.
(3) ربوة: هي المكان المرتفع من الأرض يشبه الهضبة.
(4) الكروب: هي الأمر العظيم الشديد.
(5) الأهوال: هي الأمور الجسيمة المفزعة.

من زيارة ضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب، وكلي شغف وشوق لرؤيته فأعددت لهذا الأمر عدته، وفعلا سافرت إلى مكناس[1] وهناك حصل ما لم يكن في الحسبان؛ فبعد أخذ قسط من الراحة.. باشرت رحلتي هاته؛ فكانت وجهتي هذه المرة صوب الأحياء الشعبية، والتي كانت محاطة بأسوار أثرية قديمة... فبدأت ألتفت يمنة ويسرة؛ فلم أر إلا وجوها ذات سحنات غريبة وقديمة قدم الزمن؛ وجوه يعتريها نوع من الصمت الرهيب، والهمس الكئيب.... فانتابتني غفوة فكر شاردة، وسرح عقلي معها بعيدا؛ فتخيلت تلك الوجوه التي رأيتها أول وهلة... تمر من أمامي في أرض عراء[2]؛ خالية من مظاهر العمران.. لهم لباس تقليدي مختلف؛ بسيط في تصاميمه... ورأيت أناسا يجلسون في الطرقات شبه عراة وحفاة.... فعلمت بفطنتي بأنهم من عامة الشعب، وبأنهم فقراء مملقين... ورأيت آخرين يمتطون خيولا وهم يطاردون شيئا ما... وبأن حياتهم يطبعها طابع البداوة، والمتميز بهدوئه التام وببساطة العيش الهانئ فيه؛ فلم أستفق من غيبوبتي هاته إلا وأنا على رنين منبه سيارة كادت أن تصدمني، وصاحبها يصيح ويصرخ: " مالك ماكتشوفش؟ فيق أصاحبي ".. وسرعان ما تحول ذلك إلى واقع الضجيج والضوضاء والصخب.. وهدير محرك السيارات بشتى أنواعها، والناس يختلط بعضهم ببعض، ويصرخ بعضهم في وجه بعض؛ فما كان علي إلا أن صادفت فتى يبدو في الرابعة عشرة ربيعا من عمره... سألته عن مكان ضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب فقال لي: " واش بغيتي عندو "؟... وسألت شابا آخر فقال لي متهكما: " إنه ابن عمي، ويسكن هناك " قالها هكذا باللسان الفصيح..... فابتعدت قليلا وأوقفت شيخا كبيرا لعله

(1) مكناس: من المدن العتيقة المعمرة بالمغرب وهي منطقة فلاحية بالدرجة الأولى وبها يوجد ضريح المولى اسماعيل وضريح سيدي عبد الرحمان المجذوب وضريح سيدي قدور العلمي.

(2) أرض عـــراء: هي الأرض الخالية من كل مظاهر الحضارة والتمدن.. أي عبارة عن فيافي وصحاري.

يرشدني إلى مكانه ويريحني من عذابي هذا؟؟؟؟؟؟ فقال لي الشيخ وبعد تمعن طويل: " آه. عبد الرحمان... كان غير بوهالي مسكين هذاك.... شوف سير من هنا ودور من هنا وانت عندو.. وأنا في طريقي صرخت بأعلى صوتي وكلي حنق[1] وغيظ: " بربكم، ماضركم إذا أرشدتم الزائر إلى ما يريد؛ ما الذي تغير؟؟؟ أريد أن أعرف ما الذي تغير في هذا البلد؟؟؟؟ والناس من حولي تلتفت وتهمس فيما بينها: "لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم... إنه مجنون....، وبعد برهة وجيزة تمثل لي طيف[2] عجوز جميل الهيئة؛ ذي طلعة بهية ويرتدي ثيابا بيضاء، ويحمل بين كتفيه زاده المعتاد وهو مربوط بعصا طويلة... قال لي وهو يبتسم: " لم يتغير شيء.. إنه لم يتغير شيء ".. وختم كلامه هذا ب:

إيـــــه الـــزمان كيغيـــر الاحـــوال   وكيـــبدل الوجـــوه يـــا المجـــذوب

فبدأ يقولها ويكررها إلى أن اختفى؛ فهممت أن أتبعه فلم أرى إلا الهواء من أمامي ومن خلفي... فتذكرت صدى كلماته التي مازالت خالدة على مر الزمن.

الدنـــيـــا شـــروق وغـــــروب   والمكـــتوب مامـــنه هــــــروب

ســــاعــــة بـــــساعـــــة   يفــــــرج مـــولانـا الكــــروب

(1) حنق: هو الغيظ الشديد، والقلق الذي ينتاب المرء بين الفينة والأخرى.

(2) الطيف: هو خيال كل شيء... والمعنى هنا أن الكاتب قد سرح بخياله بعيدا فتمثل له شبح سيدي عبد الرحمان المجذوب من شدة حبه له والتفكير فيه.

خاتمة

كان بودي أن أطيل الكتابة، وأن أضيف ما جادت به قريحتي الأدبية المتواضعة في السرد حول حياة هذا الرجل.. المليئة بالتجارب النافعة والمغامرات الشيقة... وكانت لي نية صادقة في استعراض ديوانه مع شرح أبياته؛ مع إضافة أبيات أخرى حذفت من ديوانه المعروف... ولكني أبيت إلا أن أترك لمن يأتي بعدي فيكتب مايشاء حول سيرة هذا الرجل العطرة، ويتمم ما عجزنا عن الإتيان به... داعين له بالتوفيق إنشاء الله تعالى.. وقد يتبادر إلى ذهن القارئ هذا السؤال الوجيه: لماذا لم يترك لنا الشيخ المجذوب مؤلفات أو كتباً في علم اللغة أو الفقهيات مثلا؟ فأجيبه: ربما كانت له كتبٌ قيمة في مجال الفقهيات ولكن لعارض ما ولحلول حائل اندثرت أو أتلفت، أو ربما لم يترك كتبا بالبتة، وعلينا أن لا ننسى بأن الرجل كان سائحا لا يستقر به مقام ولا يثبت على حالة واحدة.. كثير التنقل والتجوال أما تدوين الكتب وتأليفها فيتطلب وقتا طويلا وجهدا كبيرا، والله أعلم وأعز وأحكم...

أما المحاور الأساسية التي دعا إليها سيدي عبد الرحمان المجذوب فهي كالتالي:

1 - عليك بالصبر، وداوي جراحك به.. واعلم بأن النصر لا يأتي إلا بالصبر...

2 - احذر من المرأة كثيرا... فهي سبب المصائب والبلاوي ولرب خير لا يأتي من ورائه إلا الشر.

3 - سلح عقلك بالعلم خير من أن تزين جسدك بالجواهر. (كما قال كونفوشيوس). يعني اعتن بأخلاقك وحسنها ونظف عقلك وإحساسك بالمعاملة الطيبة والخلق الحسن تفز بخيري الدنيا والآخرة.

4 - ابتعد عن قرناء السوء، وتجنب معاشرتهم، وصاحب الأخيار واعضض عليهم بنواجذك واحفظ لسانك من الغيبة والنميمة، واكتفِ بالقليل من الكلام فان لم تستطع فعليك بالصمت تكن ناجيا، واحرص على أن يكون كلامك كله حكمة، وصمتك تفكر وتدبر، ونظرك اعتبار وتأمل، واحزن على نفسك وما يصدر منها، وعاتبها وعودها التقوى والعمل الصالح تكن أغنى الناس.

5 - إذا سقطت أو عثرت فانهض.. لاتستسلم.. لا تيأس.. (كما قال كونفوشيوس) ليست العظمة في ألا تسقط أبداً بل في أن تسقط ثم تنهض من جديد.

6 - قول الحق والالتزام بمبادئه كقولك الصدق.. من الأمور التي يصعب تطبيقها في هذا الزمن.. فإذا استطعت وكانت لك القدرة والقوة فافعل وإلا تجنب كل ذلك بقولك لا أدري أو لا أعرف وما سمعت...

7 - في المال تكمن القوة والسلطة... وإذا نطقت وتكلمت وتبرأت.. فاعلم بأنه هو الذي كلمك وأنطقك وبرأك... وإذا تكلم المال سكت الجميـــع..

8 - احذر الدين (الكريدي) فإنه ذل بالنهار وهم بالليل وبه تقضى الحوائج عند الضرورة ولكنه خزي وعار مكتسب؛ فاحذر منه كثيرا تعش سالما والقول فيك جميل... ولا تنخدع به فإنه مجلبة للمشاكل والهلاك.

9 - لا تهتم بالدنيا وتقول لما لم أفعل هذا وتركت هذا!.!!. وغيري أصبح كذا وكذا!.!!.. كل شيء بمشيئة الله، واعلم بأن الدنيا زائلة والدوام لله.

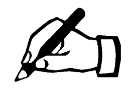
10 - لا تكثر همك.. مايقدر يكن.. وما ترزق يأتيك..

وختاما نسأل الله أن يلهمنا وإياك الصبر؛ وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه..

تم بحمد الله في يوم الأحد: خامس يوليوز من عام 2009م الموافق لاثنا عشر خلت من رجب الخير لعام 1430هـ

الأحد، 05 تموز، 2009 الموافق ل 12رجب لعام 1430

ديـوان
سيدي عبد الرحمان المجذوب



شافوني اكحل مغلف   يحسبوا ما في ذخيرة
وانا كالكتاب المؤلف   فيه منافع كثيرة
كسبت في الدهر معزة   وجبت كلام رباعي
العبد ماذا ما اعطاه ربي   ويقول اعطاني ذراعي
لا تخمم لا تدبر   لا ترفد الهم ديمة
الفلك ماهو مسمر   ولا الدنيا مقيمة
ياصاحب كن صبار   اصبر على ما اجرى ليك
ارقد على الشوك عريان   حتى يطلع نهارك
نرقد على الشوك عريان   أو نضحك اللي جفاني
نصبر لتعوس الليام   حتى ياتي زماني
الهم يستهل الغم   والسترة ليه مليحة
رد الجلدة على الجرح   تبرا وتولي صحيحة
نوصيك ياحارث الشيح   والشيح فيه المرورة
اللي تضن وتقطع عليه   تاتيك منو الضرورة
نوصيك يا حارث الدوم   والدوم كثروا نفاعه
الدم ما ينفع الدم   يا ويح من خانه ذراعه
الصمت حكمة   ومنو تتفرق الحكايم
لو ما نطق ولد الليمامة   ما يجيه ولد الحنش هايم
الصمت الذهب المشجر   والكلام يفسد المسألة
إذا شفت لا تخبر   وإذا سالوك قل لا لا
نوصيك يا واكل الراس   في البير ارم اعظامه
اضحك والعب مع الناس   فمك متن لو لجامه
يا زارع الخير حبة   يا زارع الشر ياسر

مول الخير ينبا
ومول الشر خاسر

لا تخمم في ضيق الحال
شوف عند الله ما وسعها

الشدة تهزم الارذال
أما الرجال لا تقطعها

أنا اللي كنت ثقيل ورزين
وخفيت بعد الرزانة

مشيت للرماد عامين
ندور فيه السخانة

عميت وصميت
وخفيت بعد الرزانة

واش كانون عامين
نتسنى فيه السخانة

عيطت عيطة حنينة
فيقت من كان نايم

ناضوا قلوب المحنة
ورقدوا قلوب البهايم

اللفت ولات شحمة
وتباع بالسوم الغالي

في القلوب ما بقات رحمة
شوف حالي يا العالي

من يا منك يا كحل الراس
ما شينك بطبيعة

السن يضحك للسن
والقلب فيه الخديعة

سافر تعرف الناس
وكبير القوم طيعه

كبير الكرش والراس
هذاك بنص فلس بيعه

طاقوا على الدين تركوه
وتعاونوا على شريب القهاوي

الثوب من فوق نقوه
والجبح من تحت خاوي

لا تسرج حتى تلجم
واعقد عقدة صحيحة

لا تتكلم حتى تخمم
لا تعود عليك فضيحة

مزين النساء بضحكات
لو كان فيها يدوموا

الحوت يعوم في الماء
وهما بلا ماء يعوموا

سوق النساء سوق مطيار
يا الداخلو رد بالك

يوريو ليك من الربح قنطار
ويديو ليك راس مالك

يا اللي تعيط قدام الباب
عيط وكن فاهم

ما يفسد بين الاحباب
غير النساء والدراهم

فاعل الخير هنيه
بالفرح والشكر ديمة

وفاعل الشر خليه
فعله يرجع لو غريمة

الأرض فـــدان ربـــــي / والخلـــق مجمـــوع فـــيـها
عـــزراين حـــصاد فـــريـد / مطامـــره فـــي كـــل جـيهـــة
كـــــل دواي مـــســـوس / يجـــيـب الهلـــيـكة لراســـه
ويـــستهل ضـــربة بمـــوس / حتـــى يـــبانـو اضراســـه
ضـــربوه يـــستهـل الـــضرب / والطـــريـحة معمـــول علـــيـها
هـذاك جزا من يوسع على الناس / ونفـــسه يـــضيق علـــيـها
راجـــل بـــلا مـــال محقـــور / فـــي الدنـيـا مـا يـسوى شـــي
المـــشرار كالدلـــو المقعـــور / يوصـل المـاء يـرجـع بـلا شـــي
نخـــدم علـــى المـــال ونطـــيح / والمـــال بـــيـت الطـــناخـــة
راجـــل بـــلا مـــال كالـــريح / مـــشـرار ويحـــب الـــشياخـــة
الـــشر مـــا يظلـــم حـــد / غيـــر مـــن جـــبده لراســـه
فـــي الـــشتاء يقـــول البـــرد / وفـــي الـــصيف يغلـــبه نعاســـه
ضـــربت كفـــي لكفـــي / وخممـــت فـــي الأرض ســـاعـة
صـــبت قلـــة الـــشي ترشـــي / وتـــنـــوض مـــن الجماعـــة
الـــشاشية تطـــيع الـــراس / الـــوجـه تـــضويه الحـــسانـة
المكـــسي يقعـــد مـــع الـــناس / العـــريـان نوضـــوه مـــن حـــدانـا
يـــا ذا الـــزمـان يـــا الغـــدار / يـاكاســـرني مـــن ذراعـــي
طـــيحت مـــن كـــان ســـلطان / وركـــبت مـــن كـــان راعـــي
درت مطمـــورة فـــي راس رفـــروف / ومتنـــتها مـــن كـــل جانـــب
عهـــدي بالمطمـــورة متيـــنة / ســـاعـة مـــن تحـــت شـــارب
لا يعجـــبك نـــوار دفلـــى / فـــي الـــواد دايـــر ظلايـــل
لا يعجـــبك زيـــن طفلـــة / حتـــى تـــشـوف الفعايـــل
ســـور الـــرمل لا تعلـــيـه / ولا تعمـــق فـــي لـــساسـه
ولـــد الـــناس لا توصـــيـه / يكبـــر ويوللـــي لناســـه
حـــيط الـــرمل لا تعلـــيـه / يعلـــى يـــرجـع لـــساسـه
ابـــن الغيـــر لا تـــربيـه / يكبـــر ويـــرجع لناســـه
القمـــح يـــسموه الـــربح / ذريـــه يمـــشي اغـــباره

القلب اللي كان مهموم ... اللون يعطيك اخباره
القمح هو الربح ... وذريه يصفى اغباره
إذا بغيت تنجى من الناس ... من البلا تنهي اصغاره
الخبز ياالخبز ... والخبز هو الإفادة
لو ماكان الخبز ... مايكون دين ولا عبادة
نوصيك يا كاسر الخبز ... اعمل الكسرة الصغيرة
راه اللي جاك مرهام ... يرفد الكسرة الكبيرة
الخيل هبة من الريح ... والإبل هي الشريفة
البغال قرصة من الهند ... والحمار هو العيفة
اللي يركب يركب اشهب ... طرز الذهب في لجامه
اللي يدور يقول كلمة الحق ... يدير هراوة في احزامه
أنا اللي رقيت في رقوبة ... وقعدت مثل الرصاص ندوب
من لا يقرا للزمان عقوبة ... يجي على راسه مكبوب
نوصيك يا واكل الخوخ ... من عشرة رد بالك
في النهار تظل منفوخ ... وفي الليل تبات هالك
مهبول من يحرت الفول ... في شط مالح يلوحه
مهبول من ياخذ القول ... في صاحب عوض روحه
الدنيا مثلتها دلاعة ... تتكركب مع جميع الدلاع
الحاذق يعطي معاها ساعة ... والجايح خذا معاها قاع
جحش البغل لا تغنجيه ... وبالزيت تدهني جلوده
الصك والعض فيه ... هذيك عادة جدوده
ولد الحمار لا تربيه ... لو كان تدهن زنوده
الصك والعض فيه ... هذيك عادة جدوده
إذا ناض ريحك ... لوح التبن طول قامة
وإذا ماناض لا تدوي ... واطلب غير السلامة
من ناض ريحه يدري ... ويلوح التبن طول قامة
واللي رقد ريحه يسري ... وطريق السلام السلامة

بهـــت النـــساء بهتـــيـــن | مـــن بهـــتهم جـيـــت هـــا رب
يتحـــــــزمـــوا باللفـــــــاع | ويــــــتخللـــوا بالعقـــــــارب
كـــيــد النـــســاء كـــيديـن | ومـــــن كـــيـدهم ياحزونـــــي
راكـــبـة علـــى ظهـــر الـــسبع | وتقـــول الحـــدأة يــا كلـــونـــي
حـــديث النـــســاء يـــونس | ويعلـــــــم الفهامـــــــة
يديـــروا شـــركة مـــن الـــريح | ويحـــسنوا لـــيـك بـــلا مـــا
الدنـــيا مثلـــتها دراعـــــة | مـــا يلبـــسها غيـــر اللـــي يـــشطح
يلبـــسها ويـــدوح بهـــا ســـاعة | ويـــنكد علـــيها بعـــد مـــا يفـــرح
الدنـــيا مثلـــتها دلاعـــــة | تتقـــرقب مـــا بـــيـن الـــدلاع
مـــاذا لحقـــوها مـــن طماعـــة | رمـــاتهم فـــي بيـــر مالـــه قـــاع
حطيـــــــتهـــا تبـــــــــرد | جـــاء مـــن لقفهـــا ســـخـــونة
هـــذا دوا مـــــن يبـــــرد | خيـــر المـــواكـــل ســـخونـــة
تخلطـــات ولا بغـــات تـــصفى | ولعـــب خـــزهـــا فـــوق ماهـــا
ريـــاس علـــى غيـــر مـــرتبة | همـــــا ســـبـــاب خلاهـــــا
حوســـت شـــعاب وعـــرقوب | وحوســـت عـــرب الزناقـــــي
المـــال قطعـــة مـــن القلـــب | جـــربتها مــــن عناقـــــي
مـــن جـــاور الاجـــواد جـــاد بجـــودهم | ومـــن ناســـب الارذال خـــاب ضـــناه
ومـــن جـــاور كـــدرة اتطلـــى بحمـــومها | ومـــن جـــاور صـــابون جـــاب نقـــاه
مـــن خـــالط الاجـــواد جـــاد بجـــودهم | ومـــن خـــالط الارذال زاد عـــناه
ومـــن جـــاور بـــرمة اتطلـــى بحمـــومها | ومـــن جـــاور الـــسلطان فـــاز معـــاه
فاعـــل الـــشر مقـــبـــوض | فاعـــل الخيـــر ســـالك
بـــالـــــك بـــالـــــك | بـــدراهمـــك جبـــتـــها لـــك
شـــيبنـــي مـــرو يخمـــم | مـــن علـــق لا صـــقين فـــي لهاتـــه
هـــذاك بـــه هـــم المـــراة | عـــزوه يانـــاس فـــي حـــياتـــه
مـــروان لقيـــتـــه يخمـــم | واصـــل العظـــم فـــي لهاتـــه
هـــذاك مـــن زوجـــة الهـــم | بفعالـــهـــا عذباتـــــه
المكـــتابة تـــنادي ومعاهـــا الخيـــر | ولـــو كـــان مـــن بعـــيد تجـــيـــها

والخاطي عليك من يديك يطير / رزقك من قبل ما هو فيها

واحدة رخيصة بماية ألف / واحدة غالية بجلد قعود

واحدة تجيب الخير معاها / واحدة تطرده بعمود

نوصيك ياحارث القديم / بالك من دخانها لا يعميك

لا تدي شي المراة المعفونة / تتعاون هي والزمان عليك

يا شاعل الدماغ / صرف من دخانها يعميك

بالك من المراة المعفونة / تتلاقى هي والزمان عليك

اللي يركب أزرق / شعرة بشعرة سبيبه

واللي يصحب يصاحب العبد / في كل حزة يصيبه

الاجواد ما يقولوا لا لا / وحديثهم خطأ وصواب

إذا قال ليك روح وتعالى / هذيك إمارة الكذاب

من لا يطعمك عند جوعك / ولا يحضر ليك في مصايب

لا تحسبه من فزوعك / قد حاضر قد غايب

خبزة والقلب مشروح / والضحك هو ايدامه

خزار والكبش مذبوح / ما يلذ شي على طعامه

ماكان كالحرث تجارة / ما كان كالأم حبيب

ماكان كالشر خسارة / ماكان كالدين طليب

يالايم لا تلومني في وسط الناس / وإذا عينيك في الملامة فرزني

الفضة الصافية ولات نحاس / والثوب اللي كان وافي عراني

حبيبي إذا غضب ما صبت له طب / بعد المحبة جفاني

نجيب القهوة ونصب / ونحدثه بالمعاني

أنا قلبي رهيف ما يحمل تكليف / وانتما يالطيف مافيكم رحمة

رفدتونا منين كان الحمل خفيف / سيبتونا منين صرنا ضعفة

جبت اولادي يقلعوا تنكادي / زادوني تنكاد على تنكاد

إذا كانوا الاولاد كيف ولادي / لا يعطي للضانيين اولاد

قلبي تقطع بالامواس / ما جاء برا نلوحه

من كان كواي للناس / يصبر لكيات روحه

يا قايل العار   كيفاه يحلى كلامك
تمرض ولا عدت تزار   وتتفكر الناس عارك
مثلت روحي للحمام   مبني على صهد ناره
من فوق مابان دخان   ومن تحت طابو احجاره
من الثلج عملت مطرح   بالهواء غطيت روحي
من القمر عملت مصباح   وبالنجوم ونست روحي
قلبي جاء بين المعلم والزبرة   والحداد مشئوم ما يشفق عليه
يردف له الضربة على الضربة   وإذا برد يزيد النار عليه
ما يرقد في الليل مهموم   اللي يحمل الذل مانع
ما يغسل العرض صابون   ما يقلب القلب صانع
خفيف الاقدام يتمل   لو كان وجهه مراية
قليل الاكتاف يتذل   لو كان جهده عتاية
الامان يابني الامان   والامان يقطع الرقبة
حطيت يا بني الاحسان   جبت البلا بلا سبة
حبيبك حبو   والسر اللي بينكم تخفيه
إذا حبك حبو اكثر   واذا تركك لا تسال عليه
الصاحب لا تلاعبه   والناعر لا تفوت عليه
اللي حبك حبو اكثر   واللي باعك لا تشريه
آه يا محنتي عدت خماس   والتبن اعمى عيوني
خمست على عرة الناس   كي يوجد العشاء يزعكوني
مكتوب ربي نوديه   والصبر واجب علينا
واللي نحبو نخليه   يا ناس ما اعتاها غبينة
إذا هي دنيتك مهمومة   وزمانك ما هو معاك مليح
خل الدرسة في التبن ملمومة   واستن حتى يهب الريح
يا قلبي نكويك بالنار   وإذا بريت نزيدك
يا قلبي خلفتي لي العار   وتريد من لا يريدك
يا قلبي ياحامل الماء للعقبة   وياطراد الشمس مالك إلا مهبول

لا تبغي من لا يحبك بمحبة — وإذا حبك القلب غير خل الناس تقول

اللي بغانا نبغوه — على محبة الله نلموه

واللي جفانا نجفوه — هذاك تهنينا منه

اللي حب الطلبة نحبوه — ونعملوه فوق الراس عمامة

واللي كره الطلبة نكرهوه — حتى إلى يوم القيامة

الريح والسحاب رشات — والغيم اظلام علي

الاحباب كاع كفات — بقيت فريد العمد علي

يا ويح من طاح في بير — وصعاب عنه اطلوعه

فرفر ما صاب جنحين — يبكي وسالوا دموعه

مثلت روحي لتبيب — في كل شجرة ينادي

يعيط يا قلة الحبيب — يا خروجي من بلادي

لا في الجبل واد معلوم — ولا في الشتاء ريح دافي

لا في العدو قلب مرحوم — ولا في النساء عهد وافي

راح ذاك الزمان وناسه — وجاء ذا الزمان بفاسه

وكل من يتكلم بالحق — كسروا له راسه

السابق من الخيل تعثر — وربي يدبر عليها

واذا يكلخ الفم — ربي لا يحاسبني عليها

اعطاتو الكف والدف — حتى رداتو مثل الرغيفة

تقول دقيقها مسلف — وإلا كاتسال للمعلم حسيفة

الدنيا يكنوها ناقة — إذا عطفات بحليبها ترويك

وإذا ما عطفات ما تشد فيها لباقة — تتكفح ولو كان في يديك

يا حسرة بعد اللية والزبدة الطرية — عدت نكدد في عظام الراس

ومن بعد ركوبي على الشاحب العلوية — عاد ركوبي على بغل نكاس

العبد اللي كان مذوب — ما تعيبه كحولة

والحر اللي كان مجعوب — ما يسوى نص فولة

الشواف يشوف من كاع القصعة — والغربال تشوف منو كاع الناس

الكيس يعفس على راس اللفعة — والعوام يعوم في بحر لا يقاس

المصبط ما درى بالحافي   والزاهي يضحك على الهموم
اللي راقد على القطيفة دافي   والعريان كيفاش يجيه النوم
القرد مشى للغرب   والذيب جاب راسه
لوكان الخير في البصل   ما يتغرس على راسه
احرث يا الحراث   وطيب راس المراجع
راهو مال التجار   ما زال ليك راجع
لا تجري لا تهفهف   وامشي مشية موافقة
ما تدي غير اللي اكتاب ليك   لو كان تموت بالشقاء
اللي حبك حبو   وفي محبته كن صافي
واللي كرهك لا تسبو   وخليه تلق العوافي
اللي طارت من اسعود ايامها   تتخبل في ريشها وتعيش
واللي قعدات من تعوس ايامها   ما هي بالصحة ولا بالريش
الطير، الطير ماظنيته يطير   من بعد ما والف
خلى قفصي وعمر قفص الغير   رماني في بحور خلاني تالف
يا من درى شي الحال يصبح   وتزول لينا الشميسة
اللي عاش لا بد يفرح   وتزول عليه الغبينة
ياناس من شاف دمي   غابت عني السمية
للبحر نشكي بهمي   ينشف يوللي ثنية
الزيت يخرج من الزيتونة   والفاهم يفهم لغات الطير
اللي ما تخرج كلمته ميزونة   يجحرها في ضميره خير
اللي علينا احنا درناه   واللي على الله هو بيه ادرى
خيط المحبة فنيناه   ما خصاتو غير المدرى
الناس قالوا لي اعجايبي   وانا في طريقي مسرور
إذا صفيت مع ربي   العبد ما فيه ضرور
اعطاتها الكف والدف   ودارتها مثل الرهيفة
تقول دقيقها مسلف   ولا تسال للمجذوب حسيفة
عينيك وحواجبك سود   وسوالفك هندويلة

يـــا نابـــشة الأرض بالعـــــود اتكلمـــــــي يـــــا هبـــيلـــــة
يــــا الجايــزات فـــي الطـــريق يـــــا مقـــوريـــن العمــــايـــم
فـــي راســكم شـــي عـــنايــة ولا راتعـــــيـــن كالــــبهايـــم
حلــيـل مـــن ماتـــت امـــــه وبـابـــاه فـــي الحـــج غايـــب
ومـــا صـــاب حــــد يلفــــه واضحـى ما بيـن الدواوير سايب
حجـــيـت ســبـع حجــــات وتـــبت ســـبـــع تـــوبـــــات
رجـــيت نفـــسي تبقـــى لغيـــــــرها لا بــــــــا ت
شـــفيتيني يـــا المـــسكيـن وشـــفانـــــي حـــــالــــك
الـــزيـــن مـــا تاخـــــذه والــديـــن مـــا يتعطـى لـيـــك
ادهـــــن الـــسيـر يــسيـر وبـيــه تـرطـاب الخــــرازة
النقــبـة تجــيب الطيــــر مـن بـاب ســوس لـباب تـــازة
الطــبـخ والــرمـخ فـــي فـــاس والعلـــم والـــديـــن فـــيهـــا
لا عـــيب يــتقال فــــي فـــاس مكمـولـة مـــن كـــل جيـــها
جـــيت مـــن طـــيط بالعجلـــة والــشـــر زادنـــــي شـــظايـــة
الخبـــــز داخلـــه الجـــــص عـــــلاش يـــاطالــب ذا القــرايـــة
إذا كـــان الــسعد يتنجـر مـــن عـــود نجر ستيـــن عـود غيـــر من عودي
وإذا كـــان الــسعد مـنك يـا مـسعود يـــا سقام السعود سقم لــي سعدي
لو كان ندري السعود ينغرسوا بالعود نغـرس مـية عـود فـي مـرجة وحـدي
يـا سـقام الـسعود سـقم لـي سـعدي نزرب عليه بالسجاز والريش مدربـي
... والتعبيـــر بفـضله القائـل يـدل علــى قول الشيخ المجذوب في أوانه

السيرة الذاتية لمحقّق الكتاب

ميلود الشريف، كاتب وباحث وعاشق للتراث المغربي الأصيل، اسمه الكامل هو ميلود العركوبي الشريف، ازداد عام 1972 بالدار البيضاء؛ ينحدر من أسرة فقيرة. تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي؛ لم تسعفه الظروف على إتمام دراسته؛ فانكبّ بعد ذلك على ممارسة بعض الأنشطة التجارية ثم مطالعة الكتب.

عشق الأدب وأحبه، وكان يأمل في يوم من الأيام أن يصبح من أحد رواده الكبار؛ له نزعة عصامية بالدرجة الأولى، طريقة كتابته تتسم بالصدق والصراحة والوضوح؛ له حضور وازن في بعض الجرائد الوطنية والمجلات العربية... لا يعتمد على الكتابة كمورد للرزق.

كتاب "رباعيات سيدي عبد الرحمٰن المجذوب" يعتبر البادرة الأولى من إبداعاته، ويطمح في تأليف كتب أخرى من هذا النوع؛ وذلك من أجل فرض الذات وإثبات القيمة للكتاب، ومد القارئ بكل ما هو جديد وواقعي.

فهرس المحتويات